المنهاج الإيماني
في التعامل مع الأوبئة

إعداد

د.أحمد أحمد إسماعيل سالم

مدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين بالقاهرة

جـامعة الأزهـر

المنهاج الإيماني في التعامل مع الأوبئة

أحمد أحمد إسماعيل سالم

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: ahmedsalim.2013@azhar.edu.eg

الملخص:

تختلف الأمم في أساليب مواجهتها لجائحة كورونا تبعا لثقافتها، فهل تمتلك الأمة المسلمة منهجا إسلاميا متميزا لمواجهة هذا الوباء وغيره من الأوبئة المستجدة ؟ هذا ما يكشف عنه البحث حيث يبين أهم التوجيهات الإيمانية القلبية التي ينبغي ان يكون عليها الناس في زمن الوباء..وتم عرض ذلك في أربعة مباحث: الأول: الرجوع إلى الله تعالى(التوبة) المبحث الثاني. التضرع إلى الله تعالى طلبا لدفع الوباء. المبحث الثالث:الدعاء الخالص، المبحث الرابع: الصبر والاحتساب،ثم الخاتمة وتناولت أهم نتائج البحث وتوصياته

منهج البحث : تنوعت المناهج العلمية في هذه الدراسة، فكان منها (المنهج الوصفي –الاستقرائي –التحليلي والاستنباطي والنقدي)

النتائج: ومن أهم هذه النتائج، أن الآلام والأوبئة سنة إلهية ماضية في الأمم، سواء الكافرة منها أو المؤمنة، وذلك لحكم سامية، منها تعذيب المنحرفين وتنبيه الغافلين إلى سلطان القاهر فوق عباده، علهم يرجعون إليه قبل وقوع العذاب الأكبر عليهم في الآخرة إن لم يتوبوا، وتكون الشدائد كذلك ابتلاء للمؤمنين، وتطهيرا لهم ورفعا لدرجاتهم. ومع هذا فهناك صنف من

الناس لاتؤثر فيهم هذه البلايا والمحن فلا يرجعون إلى ربهم وذلك لأمرين: قسوة قلوبهم، ورؤية أعمالهم السيئة أعمالا حسنة لاتقتضي التوبة. ومن الواجب في التعامل مع المصائب والأوبئة -بعد الأخذ بالأسباب المادية- الأخذ بالأسباب الإيمانية وعلى رأسها: التوبة والتضرع والدعاء الخالص، مع الصبر والاحتساب وعدم الاستهتار بهذه الآيات الكونية.

التوصيات: القيام بالمزيد من الدراسات حول القيم الروحية ذات التأثير الكبير في مواجهة النوائب الجسيمة، وعلى الجامعات وهيئات البحث العلمي أن تولي الطب النبوي حقه من العناية والدراسة، لاستخراج أدوية جديدة لأمراض العصر.

الكلمات المفتاحية: الوباء، كوفيد-١٩، التوبة، التضرع، الدعاء، الصبر.

The faith-based approach to dealing with epidemics

Ahmed Ahmed Ismail Salem

Department of Islamic Da'wah and culture, Faculty of osoul al-Din, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

E-mail address: ahmadsalem2000@yahoo.com

Abstract:

Does the Muslim nation have a distinct Islamic approach to face this pandemic and other emerging epidemics This is what the research reveals as it shows the most important directions of heartfelt faith that people should be in a time of pandemic..This was presented in four topics: the first: return to God(repentance) second topic. Pray to God for a cure. Third topic: pure supplication, fourth topic: patience and calculation, then the conclusion and dealt with the most important results of the research and its recommendations.

Research methodology: the scientific approaches varied in this study, including (descriptive-inductive-analytical, deductive and critical approach)

The most important of these results is that the afflictions and plagues of the past year in the nations, whether unbelievers or believers, are for a supreme rule, including the torture of perverts and the warning of the unwary to the omnipotent authority over his slaves, that they will return to him before the greatest punishment falls on them in the hereafter if they do not repent. However, there is a group of people who are not affected by these misfortunes and tribulations, and do not return to their Lord for two things: the cruelty of their hearts, and seeing their bad deeds do good deeds that do not require repentance. In dealing with

calamities and plagues, after taking material reasons, it is necessary to take the causes of faith, especially: repentance, supplication and pure supplication, with patience and calculation and not to disregard these universal verses.

Recommendations: do more studies on spiritual values that have a great impact in the face of serious calamities, and universities and scientific research bodies should give the prophetic medicine its right of attention and study, to extract new medicines for diseases of the age.

Keywords: pandemic, covid-19, repentance, supplication, supplication, patience.

المقدمـــــــة

لا يخفى على أحد ماعانته وتعانيه البشـرية في هذه الآيام من اسـتفحال خطر الوباء العالمي المســمى بفيروس كورونا(كوفيد-١٩) حيث خلف آلاف الموتى، وأصـــاب الملايين، وأغلق المســـاجد والمعابد، والمدارس والجامعات، والمطارات، وعطل معظم جوانب الحياة، ونشـــر الخوف والفزع في البلدان التي استفحل فيها خطره،

ووقفت الجيوش والمنظمات والهيئات الصـحية أمامه عاجزة، فلا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

وإزاء هذا التحدي الذي شـــمل العالم كله، جهد العلماء والباحثون جهدهم للتعامل مع هذا الوباء.

وهذا التعامل يمكن تقسيمه إلى وجهين:

الوجه الأول : **التعامل المادي** العقلي القائم على البحث والتجربة والملاحظة والاستنباط للقوانين التي تكشف حقيقة الفيروس وتطوره وطرق انتقاله، وآثاره على صحة الإنسان ، وإجراء التجارب عليه لدحره، واختراع أدوية له، واكتشاف تطعيمات تحصينا منه، واختراع النظم والإجراءات التي يهتدي إليها العقل الإنســـاني لإيقاف هذا المارد، والحد من انتشـــاره، وتخفيف أضراره الصحية والاقتصادية..إلخ، وهذا الوجه من التعامل العقلي مع الوباء ليس فيه اختصاص بالمسلمين ، بل هذا الجانب العلمي العقلي والعملي متاح لجميع البشـر، المسـلم والكافر فيه سـواء، بل الأكثر بحثا ونظرا ونشـاطا وسـعيا، هو الأكثر وقوفا على هذا الوباء وتعاملا معه، ولا يختص المســلمون بعلم عن طبائع الأوبئة ونحوها باعتبارهم مســلمين.

اللهم إلا ما حوته الشـــريعة من أومر ونواهي تتعلق بأفعال المكلفين تبين للعقلاء عظمتها في الوقاية من الأمراض والأوبئة، وسبقها لما اهتدى إليه أهل الاختصاص من توجيهات للحد من انتشار الأوبئة، ويمكن اختصارها في ثلاثة أصول:

الأصل الأول: الإجراءات الوقائية

وذلك من خلال التوجيه إلى الطهارة والنظافة في البدن والثياب والمكان، ومراعاة ســـنن الفطرة، والنهي عن أكل وشـــرب الخبائث، وتحريم الفواحش....إلخ، مما كان له أكبر الأثر في تكوين أمة النظافة المعنوية والحســـية، لارتباط التوجيهات بالعقيدة . ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ.﴾[1]

الأصـل الثاني: الحجر الصـحي لقد سـبق الإسـلام الأمم حين قال رسول الله ﷺ «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»[2].

فكان هذا الحجر ناجعا في محاصـرة المرض والحد من انتشـاره، ومراعاة المصابين والضعفاء بعدم التخلي عنهم.

---

(١) سورة البقرة، من الآية:.٢٢٢

(٢) «صـــحيح البخاري» كتاب: الطب،باب: مايذكر في الطاعون، (٧/ ١٣٠): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، المؤلف: محمد بن إســماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصـــر الناصـــر، الناشر: دار طوق النجاة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

الأصل الثالث: تعظيم مكانة المبتلى الصابر

جعل الإسلام للمصاب بوباء الطاعون مكانة سامقة تسمو إلى مكانة الشهداء، حيث يقول ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم» (١)، وعن أبي هريرة(رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال «المبطون شهيد والمطعون شهيد» (٢)، ورفع أجر من أقام وصبر ولم يخرج من أرض الوباء حتى وإن نجاه الله من الموت بالوباء، حيث قال ﷺ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي، ....، الْفَارُّ مِنْهُ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ، وَالصَّابِرُ عَلَيْهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣)

وعن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها ﷺ «أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد» (٤)

لعل هذه أهم أصول المنهج العملي في التعامل مع الوباء، و بحثنا لن يتناول التعامل مع الوباء من هذا الوجه العقلي أو العملي أو الطبي..

الوجه الثاني:للتعامل مع الوباء هو ما يتعلق بالتفسير الإيماني للأوبئة والشرور التي تصيب الناس، والحكمة منها، و الحالة النفسية والإيمانية التي يجب أن يكون عليها الناس إذا نزل البلاء، وحل بساحتهم

---

(١) «صحيح البخاري» ك:الجهاد والسير،ب: الشهادة سبع سوى القتل، (٤/ ٢٤).

(٢) «صحيح البخاري» ك:الطب،ب: ما يذكر في الطاعون، (٧/ ١٣١).

(٣) «المعجم الأوسط»، باب :الميم،رقم الحديث :(٥٥٣١)، (٥/ ٣٥٣): وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١٦٥/٧) مختصراً.

(٤) «صحيح البخاري»،ك: الطب،ب:أجر الصابر في الطاعون، (٧/ ١٣١).

الوباء، لأن هذا التصرف من البشر تجاه الوباء، سيترتب عليه نتائج في الدنيا والآخرة.

ومصدر العلم بهذا الجانب من التعامل مع الوباء هو الشريعة الإسلامية لا غير، وهذا من خصائص المسلمين، وهذا هو موضوع بحثنا. وفي هذا الإطار أقدم هذه الدراسة الموجزة في بيان منهاج الإسلام في التعامل مع الوباء من الناحية الإيمانية القلبية.

أهمية الموضوع

- إن هذا الجانب الإيماني القلبي في التعامل مع الوباء عظيم التأثير في الطبيعة الإنسانية، من حيث تقويتها، ودفع المواد الرديئة عنها، فإذا نزل الوباء كان من أنفع الدواء كذلك، فالفؤاد الجياش بالإيمان الصادق يستنزل إمدادات روحية سماوية تمد الجسد بعفو الله وعافيته.
- حاجة المجتمع إلى معرفة ما ورد في الإسلام فيما يتعلق بالوباء للوقوف عليه والعمل به.
- حاجة الناس في زمن الوباء عموما والمصابين خصوصا إلى ما يعينهم على تقبل أقدار الله تعالى، وما يشعرهم بالطمأنينة ويحقق لهم التوازن النفسي.
- القيام بحق الإسلام علينا في تبليغ ما فيه من خير يحفظ على الناس صحتهم النفسية والبدنية، وإبراز بعض كنوزه ومحاسنه، من حيث تجلية قدرته علي مواجهة التحديات التي تواجه الإنسانية في أي زمان ومكان.

أهداف البحث

- يسعى البحث إلى تقديم دراسة عميقة ومتخصصة في تقديم بعض الحلول الشـرعية لمواجهة مشـكلة الوباء، والتي لاتقل أهمية عن الحلول الصحية.
- بيان ما يشرع للناس اعتقاده وعمله من العبادات القلبية في زمن الوباء والضراء خاصة.
- إبراز أن هذه القيم الإيمـانيـة الروحيـة، ممـا تصـــلـح بهـا النفس وتتحرك بها قواها لفعل ما يحســن شــرعا وعقلا، وفي الوقت ذاته تمكنها من تحمل المتاعب والآلام إذا أصابها الضر ، وتحميها من اليأس والجزع أو الانتحار.

منهج البحث

تنوعت المناهج العلمية في هذه الدراسة، فكان **المنهج الوصفي** في بيان التعريفات والأهمية لبعض المســـائل، كما كان كذلك المنهج الاســـتقرائي والتحليلي والاستنباطي عند دراسـة الآيات والأحاديث ذات الصلة بموضـوع البحث ، وقمت بعزو الآيات إلى ســـورها، وتخريج الأحاديث من مراجعها الأصيلة.

تساؤلات البحث

يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الوباء والطاعون؟ وهل كل وباء طاعون؟ وهل مرض كورونا المستجد وباء أم طاعون؟

- ما التوجيهات الإيمانية القلبية التي أرشـد إليها الإسـلام إذا نزل الوباء وأصاب الناس الضراء؟

خطة البحث

يشـتمل هذا البحث على مطلب تمهيدي وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

- المطلب التمهيدي:وبينت فيه التعريف بمصـطلحات:(منهاج، الوباء، الطاعون، كوفيد-١٩)

- المبحث الأول:الرجوع إلى الله تعالى ..

- المبحث الثاني: التضرع إلى الله تعالى...

- المبحث الثالث: الدعاء بإخلاص

المبحث الرابع :الصـبر والاحتسـاب، ثم الخاتمة : وتتضـمن أهم النتائج والتوصيات.

المطلب التمهيدي

التعريف بمصطلحات:(منهاج، الوباء والطاعون، كوفيد-١٩)

الفرع الأول: المقصود بالمنهاج

أولا: في اللغة:

المنهاج: مأخوذة من الفعل نهج، وتعني الطريق الواضح. جاء في "مختار الصحاح": [ن هـ ج: (النَّهْجُ) بِوَزْنِ الْفَلْسِ، وَ (الْمَنْهَجُ).. ، وَ(الْمِنْهَاجُ) الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَ (نَهَجَ) الطَّرِيقَ أَبَانَهُ وَأَوْضَحَهُ. وَ (نَهَجَهُ) أَيْضًا سَلَكَهُ..] (١)

ويقول ابن فارس في مقاييس اللغة:

[النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ: الْأَوَّلُ النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ. .. الْمِنْهَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ.

(١) مختار الصحاح (ص٣٢٠)، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، وانظر: « تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي » (٦/ ٢٥١)؛ وانظر: «المخصص» لابن سيده (٣/ ٣٠٧). وانظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٣٨٤):

وَالْآخَرُ الِانْقِطَاعُ. وَأَتَانَا فُلَانٌ يَنْهَجُ، إِذَا أَتَى مَبْهُورًا مُنْقَطِعَ النَّفَسِ. وَضَرَبْتُ فُلَانًا حَتَّى أُنْهِجَ، أَيْ سَقَطَ...] (١)

ووردت كلمة منهاج في القرآن الكريم بهذا المعنى اللغوي في قوله تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ (٢)

جاء في تفسير البغوي:[قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلا وسنة ، فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح ،](٣)

والمعنى كما يقول الطبري –رحمه الله–[: لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحق يؤمُّه، وسبيلا واضحًا يعمل به.] (٤)

فالمنهاج في أصله اللغوي الطريق البين السهل الواضح. وبهذا ورد في القرآن الكريم.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٦١)، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٩٧٩م.؛ وانظر: جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٩٨):

(٢)[المائدة: ٤٨]

(٣)معالم التنزيل في تفسير القرآن =«تفسير البغوي » (٣/ ٦٦): ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٤)جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٠/ ٣٨٤): أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت- ٣١٠هـ)، دار التربية والتراث - مكة المكرمة ، الطبعة:(ب.ت.ن).

ثانيا: في الاصطلاح

يختلف التعريف الاصـــطلاحي من فن لآخر، كما أضـــاف المعجم اللغوي العربي الحديث معاني جديدة، ولهذا تنوعت التعاريف ومن ذلك.

- **خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مســـألة أو أكثر يتتبعها للوصول إلى نتيجة .** (١)
- **مجموعة أفكار أو مبادئ مرتبطة ومنظَّمة**(٢)
- **وسيلة محدّدة توصّل إلى غاية معيّنة.** (٣)
- **وعرفه د.عبد الرحمن بدوي بالتعريفين التاليين:** (٤)
- **البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة.**
- **الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على ســـير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.**

---

(١) الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتصنيف، نديم ،وأسامة مرشعلي، صـــ١٢٠٩،ط، دار الحضارة بيروت.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصـــرة» (٣/ ٢٢٩١) ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

(٣)المصدر السابق نفسه.

(٤)مناهج البحث العلمي، صـ٦،د.عبد الرحمن بدوي،ط، ثالثة،١٩٧٧م.

والتعريفات الاصـــطلاحية لا تبعد كثيرا عن التعريف اللغوي، فهي تدور في فلك الطريقة أو الأسلوب أو الكيفية، أو الوسيلة المحددة الواضحة، التي تؤدي إلى الغاية المعينة، والغرض المطلوب، فالخطط والأفكار والوســـائل والمبادئ...إلخ، طرق معنويةكذلك توضح السبيل، وتكشف عن الغايات.

والذي أراه من التعريفات لكلمة (منهاج) أقرب إلى موضـــوع البحث هو المعنى اللغوي، فإذا أضفنا إليها كلمة (الإيمان) فالمقصود من هذا المركب الإضافي (منهاج الإيمان) أي الطريق أو الأسلوب، الذي وضحه الإسلام للتعامل مع الوباء من الناحية الإيمانية.

** ** **

الفرع الثاني: المقصود بالوباء والطاعون

ما الوباء في المعاجم العربية ؟ وهل الوباء والطاعون مترادفان ؟ والإجابة في النقاط التالية:

أولا: الوباء والطاعون في اللغة

يجد الباحث في المعجم العربي من يقول: إن الوباء اسم للطاعون، ويقال أيضا:إن الوباء اسم للمرض العام الذي يصيب العباد أو البلاد، وقيل:إنه يطلق على الطاعون والمرض العام فهما مترادفان.

١-يقول ابن منظور:[الوَبَأُ: الطَّاعُونُ بِالْقَصْـرِ وَالْمَدِّ وَالْهَمْزِ. وَقِيلَ هُوَ كلُّ مَرَضٍ عامٍّ،] [١] وفي موضـــع آخر يعرف الطاعون بأنه:[والطاعُون: دَاءٌ مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ الطَّواعِينُ. . والطَّاعُون: الْمَرَضُ الْعَامُّ والوَباء الَّذِي يَفْسُد لَهُ الْهَوَاءُ فَتَفْسُدُ بِهِ الأَمْزِجة والأَبدان؛][٢]

٢- ويقول الخليل ابن أحمد:[الوباء الطاعون، وهوأيضا كل مرض عام][٣] وبهذا أيضا يقول ابن الأثير. [٤]

٣-وجاء في المعجم الوسـيط:[(الوبأ) الطَّاعُون وكل مرض فَاش عَام (ج) أوباء.] [٥] وفي موضـــع آخر يعرف الطاعون بأنه:[دَاء وَرمي وبائي سَببه مكروب يُصِيب الفئران وتنقله البراغيث إِلَى فئران أُخْرَى وَإِلَى الْإِنْسَان (ج) طواعين (مج)] [٦]

---

(١) لسان العرب» (١/ ١٨٩)، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـــ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٢) لسان العرب» (١٣/ ٢٦٧):

(٣) العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة١٧٠هـ، ج٤،صـ٣٤٣، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط،أولى ٢٠٠٣م

(٤) انظر:النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٤٤):

(٥) المعجم الوسـيط» (٢/ ١٠٠٧)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصـطفى، وآخرون،ط: دار الدعوة.

(٦) المعجم الوسيط»:(٢/ ٥٥٨):

نلاحظ أن المعاجم القديمة لا تفرق بين الوباء والطاعون، إلا أن المعجم الوسيط قد أصاب في التفريق بينمها، بناء على معارف عصرنا الحالي، التي عجز عن إدراكها العلماء القدامى.

☐ ثانيا: الوباء والطاعون اصطلاحا:

يفرق علماء الشرع – والطب أيضا– بين الوباء والطاعون ،وبيان ذلك على النحو التالي:

١–• يقول القاضي عياض[١]رحمه الله :[أصل الطاعون القروح الخارجة فى الجسد. والوباء: عموم الأمراض. فسميت طاعوناً لشبهها بالهلاك بذلك، وإلا فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً على ما ذكرناه. ويدل على ما أشرنا إليه قوله – عليه السلام – في حديث أبى موسى:

(١) القاضي عِيَاض (٤٧٦ – ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ – ١١٤٩ م) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. .. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما، من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى – وشرح صحيح مسلم .انظر: «الأعلام للزركلي» (٥/ ٩٩):

«الطاعون وخز أعدائكم من الجن»[1]. ووباء الشـــام الذى وقع به: إنما كان طاعونًا وقروحًا، وهو طاعون عمواس"][2]

٢-• ونقل الحافظ ابن حجر عن الطبيب أَبُو عَلِيّ بْنُ سِـــينَا[3] قوله: [الطَّاعُونُ مَادَّةٌ سُـــمِّيَّةٌ تُحْدِثُ وَرَمًا قَتَّالًا يَحْدُثُ فِي الْمَوَاضِـــعِ الرَّخْوَةِ وَالْمَغَابِنِ مِنَ الْبَدَنِ وَأَغْلَبُ مَا تَكُونُ تَحْتَ الْإِبْطِ أَوْ خَلْفَ الْأُذُنِ أَوْ عِنْدَ الْأَرْنَبَةِ، قَالَ: وَسَـبَبُهُ دَمٌ رَدِيءٌ مَائِلٌ إِلَى الْعُفُونَةِ وَالْفَسَـادِ، يَسْـتَحِيلُ إِلَى جَوْهَرٍ سُـمِّيٍّ يُفْسِـدُ الْعُضْـوَ وَيُغَيِّرُ مَا يَلِيهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى الْقَلْبِ كَيْفِيَّةً رَدِيئَةً فَيُحْـدِثُ الْقَيْءَ وَالْغَثَيَـانَ وَالْغَشْـــيَ وَالْخَفَقَـانَ، وَهُوَ لِرَدَاءَتِـهِ لَا يَقْبَـلُ مِنَ الْأَعْضَاءِ إِلَّا مَا كَانَ أَضْعَفَ بِالطَّبْعِ، وَأَرْدَؤُهُ مَا يَقَعُ فِي الْأَعْضَاءِ الرَّئِيسِيَّةِ، وَالْأَسْـوَدُ مِنْهُ قَلَّ مَنْ يَسْـلَمُ مِنْـهُ، وَأَسْـلَمُهُ الْأَحْمَرُ ثُمَّ الْأَصْـفَرُ، وَالطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْـدَ الْوَبَـاءِ فِي الْبِلَادِ الْوَبِئَـةِ، وَمِنْ ثَمَّ أُطْلِقَ عَلَى الطَّـاعُونِ وَبَـاءً

---

(١) أخرجه الألباني (ت ١٤٢٠) في صـحيح الجامع الصـغير وزيادته، ٣٩٥١ وقال: صـــحيح (٢/ ٧٣٢) و أخرجه البزار (٣٠٩١)، والديلمي في «الفردوس» (٤٣٩٧) باختلاف يسير.

(٢) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٧/ ١٣٢). لِلقَاضِـى عياض، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْـمَاعِيل، الناشـر: دار الوفاء للطباعة والنشـر والتوزيع، مصـر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) ابْنُ سِـــيْنَا أَبُو عَلِيٍّ الحُسَـــيْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَلْخِيُّ ، ثُمَّ البُخَارِيُّ، العَلاَّمَةُ الشَّـــهِيْرُ، الفَيْلَسُوفُ،.. صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ فِي الطِّبِّ وَالفَلْسَفَةِ وَالمنطِقِ، وأشهر كتبه (القانون) في الطب، كَانَ أَبُوْهُ كَاتِباً مِنْ دُعَاة الإِسْـمَاعِيْلِيَّة،.. وَمَوْلِدُهُ فِي صَـفَرٍ سَـنَةَ سَـبْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ... مَاتَ فِي رَمَضَـانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ..انظر: «سير أعلام النبلاء ط الرسالة» (١٧/ ٥٣١): وانظر: «الأعلام للزركلي» (٢/ ٢٤٢):

وَبِالْعَكْسِ، وَأَمَّا الْوَبَاءُ فَهُوَ فَسَادُ جَوْهَرِ الْهَوَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الرُّوحِ وَمَدَدُهُ.] (١)

٣-• ويفرق النووي(٢) بين الوباء والطاعون فيقول رحمه الله: ["والطاعون ..مرض معروف، هو بثر وورم مؤلم جدًا، يخرج مع لهب، ويسود ما حواليه أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء، ويخرج في المراق(٣) والآباط، غالبًا، والأيدي والأصابع وسائر الجسد"](٤)

ويقول في موضع آخر:[أَمَّا الْوَبَاءُ فقال الخليل وغيره هو الطَّاعُونِ وَقَالَ هُوَ كُلُّ مَرَضٍ عَامٍّ وَالصَّحِيحُ الَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُ مَرَضُ الْكَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ فِي جِهَةٍ مِنَ الْأَرْضِ دُونَ سَائِرِ الْجِهَاتِ وَيَكُونُ مُخَالِفًا لِلْمُعْتَادِ مِنْ أَمْرَاضٍ فِي الْكَثْرَةِ وَغَيْرِهَا وَيَكُونُ مَرَضُهُمْ نَوْعًا وَاحِدًا بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ أَمْرَاضَهُمْ فِيهَا مُخْتَلِفَةٌ قَالُوا وَكُلُّ طَاعُونٍ وَبَاءٌ وَلَيْسَ كُلُّ وَبَاءٍ طَاعُونًا] (٥)

---

(١) «فتح الباري لابن حجر» (١٠/ ١٨٠).

(٢) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،

(٣) مراقُّ البطن: ما رقَّ منه ولان أسافله ونحوها، انظر:«المعجم الوسيط» (١/ ٣٦٦).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٨٧)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ٢٠٤) ،: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه.

٤-•وعرف الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح الطاعون وأكد أنه مغاير للوباء فقال:

[وَالطَّاعُونُ بِوَزْنِ فَاعُولٍ مِنَ الطَّعْنِ،عَدَلُوا بِهِ عَنْ أَصْلِهِ وَوَضَعُوهُ دَالًا عَلَى الْمَوْتِ الْعَامّ كَالْوَبَاءِ- وبعد أن نقل كلام أهل اللغة والفقه والطب قال- : وَالْحَاصِلُ أَنَّ حَقِيقَتَهُ ورم ينشأ عَنْ هَيَجَانِ الدَّمِ أَوِ انْصِبَابِ الدَّمِ إِلَى عُضْوٍ فَيُفْسِدُهُ وَأَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْعَامَّةِ النَّاشِئَةِ عَنْ فَسَادِ الْهَوَاءِ يُسَمَّى طَاعُونًا بِطَرِيقِ الْمَجَازِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي عُمُومِ الْمَرَضِ بِهِ أَوْ كَثْرَةِ الْمَوْتِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الطَّاعُونَ يُغَايِرُ الْوَبَاءَ ..أَنَّ الْوَبَاءَ كَانَ مَوْجُودًا بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ صَرَّحَ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ بِأَنَّ الطَّاعُونَ لَا يَدْخُلُهَا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْوَبَاءَ غَيْرُ الطَّاعُونِ وَأَنَّ مَنْ أَطْلَقَ عَلَى كُلِّ وَبَاءٍ طَاعُونًا فَبِطَرِيقِ الْمَجَازِ.

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْوَبَاءُ هُوَ الْمَرَضُ الْعَامُّ .. وَالَّذِي يَفْتَرِقُ بِهِ الطَّاعُونُ مِنَ الْوَبَاءِ أَصْلُ الطَّاعُونِ الَّذِي لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ الْأَطِبَّاءُ وَلَا أَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي تَعْرِيفِ الطَّاعُونِ وَهُوَ كَوْنُهُ مِنْ طَعْنِ الْجِنِّ وَلَا يُخَالِفُ ذَلِكَ مَا قَالَ الْأَطِبَّاءُ مِنْ كَوْنِ الطَّاعُونِ يَنْشَأُ عَنْ هَيَجَانِ الدَّمِ أَوِ انْصِبَابِهِ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ يَحْدُثُ عَنِ الطَّعْنَةِ الْبَاطِنَةِ فَتَحْدُثُ مِنْهَا الْمَادَّةُ السُّمِّيَّةُ وَيَهِيجُ الدَّمُ بِسَبَبِهَا أَوْ يَنْصَبُّ وَإِنَّمَا لَمْ يَتَعَرَّضِ الْأَطِبَّاءُ لِكَوْنِهِ مِنْ طَعْنِ الْجِنِّ لِأَنَّهُ أَمْرٌ

لَا يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ وَإِنَّمَا يُعْرَفُ مِنَ الشَّارِعِ فَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ قَوَاعِدُهُمْ.] (١)

٥- ويقول ابن القيم: [وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بَيْنَ الْوَبَاءِ وَالطَّاعُونِ عُمُومًا وَخُصُوصًا فَكُلُّ طَاعُونٍ وَبَاءٌ، وَلَيْسَ كُلُّ وَبَاءٍ طَاعُونًا، وَكَذَلِكَ الْأَمْرَاضُ الْعَامَّةُ أَعَمُّ مِنَ الطَّاعُونِ فَإِنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهَا،أي الطاعون من أنواع الأوبئة.. وَالطَّاعُونُ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: هَذَا الْأَثَرُ الظَّاهِرُ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَطِبَّاءُ. وَالثَّانِي: الْمَوْتُ الْحَادِثُ عَنْهُ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي قَوْلِهِ: (ﷺ) «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (٢) **. وَالثَّالِثُ: السَّبَبُ الْفَاعِلُ لِهَذَا الدَّاءِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي**

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري،(١٠/ ١٨٠-١٨١) المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

(٢)سبق تخريجه ص٣.

الْحَدِيثِ الصَّـــحِيحِ: («بَقِيَّةُ رِجْزٍ، أَوْ عَذَابٍ أُرْسِـــلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بني إسرائيل » [(١)] ، وَوَرَدَ فِيهِ " أَنَّهُ وَخْزُ الْجِنِّ " [(٢)].][(٣)]

٦-ويقول ابن عثيمين- رحمه الله: [والطاعون قيل: إنه نوع معين من المرض يؤدي إلى الهلاك، وقيل: إن الطاعون كل مرض فتاك منتشر، مثل الكوليرا، ..والحمى الشوكية، فهذه الأمراض التي تنتشر بسرعة وتؤدي إلى الهلاك يصـــح أن نقول: إنها طاعون حقيقة، أو حكماً. ولكن الظاهر من الســنة خلاف ذلك؛ لأن الرســول (ﷺ) عَدَّ الشــهداء فقال: «المطعون

---

(١) «ســـنن الترمذي » أبواب الجنائز ،باب: ماجاء في كراهية الفرار من الطاعون،(٣/ ٣٧٠): محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـــ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون الناشر: مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في بذل الماعون (ص ١٠٩) بعد أن ســـاق رواية ابن أبي شيبة قال: "كذا نقلته من مسند ابن أبي شيبة، وما أظنه إلَّا وهمًا". وصححه الألباني في «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار الســـبيل» (٦/ ٧٢)، قال: [أخرجه أحمد (٤/٤١٣) والحاكم (١/٥٠) وقال: " صحيح على شرط مسلم " , ووافقه الذهبى.وهو كما قالا.]

(٣)زاد المعاد في هدي خير العباد،(٤/ ٣٥،٣٦)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـــ) ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، السابعة والعشرون ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، باختصار يسير.

والمبطون. »[١] وهذا يدل على أن من أصيب بداء البطن[٢] غير من أصيب بالطاعون، والمبطون هو الذي انطلق بطنه"][٣]

خلاصة القول:

والذي يخلص إليه الباحث مما سبق ما يلي:

١- التعريف الدقيق للطاعون هو التعريف الاصطلاحي والذي يؤيده الطب وهو كما جاء في المعجم الوسيط، [داءٌ وَرَمِيٌّ وبائي سببه مكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان] [٤] ويؤكد ذلك أيضا **موقع منظمة الصحة العالمية** على الشبكة العنكبوتية فيقول:[الطاعون مرض من الأمراض المعدية الموجودة لدى بعض صغار الثدييات والبراغيث المعتمدة لها. وقد يُصاب الناس بالطاعون إذا ما تعرضوا للدغ البراغيث الحاملة للعدوى، ويظهر عليهم الشكل الدبلي للطاعون. وقد يتطور الطاعون الدبلي في بعض الأحيان ليتحول الى طاعون رئوي،] [٥]

---

(١)أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب الشهادة سبع سوى القتل برقم(٢٨٢٩).

(٢) أدواء البطن التي تكون سببا للموت.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، (١١/ ١١٠).المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ.

(٤) المعجم الوسيط»:(٢/ ٥٥٨):وانظر :معجم المصطلحات العلمية والفنية ،يوسف خياط،(٤١٥) ،دار لسان العرب،بيروت،لبنان.

(٥) https://www.who.int/features/qa/plague/ar/

ويؤيد هذا التعريف الاصطلاحي ما روي عن أم المؤمنين عائشة [قلت يَا رَسُول الله هَذَا الطعْن قد عَرفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُون قَالَ غُدَّة كَغُدَّة الْبَعِير][1] أي يشبه النتوء الذي يظهر خلف أقدام البعير.

فالطاعون داء مخصوص وله أعراض خاصة، ومن جهة أخرى يجوز أن يطلق على الطاعون وباء باعتباره أحد أنواع الوباء،

٢- ليس كل وباء معد سريع الانتشار والهلاك طاعونا، إلا من باب المجاز أو القياس لشبههما في سرعة الانتشار والهلاك. ومما يفرق بينهما أن الوباء يدخل المدينة المنورة بخلاف الطاعون، وأن الطاعون له سبب ظاهر يدركه أهل الطب وسبب خفي هو طعن الجن للإنس،[2] ومن ثم تكون الأوبئة والأمراض التي يحدث بها الهلاك ليست هي الطاعون الذي ورد النص على أنه شهادة لمن مات به.

٣- مرض كورونا الجديد وانفلونزا الطيور أو الكوليرا ونحو ذلك من الأوبئة ليست هي الطاعون المنصوص عليه في السنة وصفا أو مثوبة، فقد عد النبي (ﷺ) من الشهداء المطعون والمبطون، وهذا يدل على

---

(١)الترغيب والترهيب ،(٢/ ٢٢٢): عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)،المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٤/٢)، وقال: ،رَوَاهُ أَحْمد وَأَبُو يعلى وَالطَّبَرَانِيّ و رجال أحمد ثقات.وانظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال» (٥/ ٤٣):

(٢) لابن القيم كلام نفيس في إثبات هذه المسألة عقلا، في «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٣٦):

التفريق بين وباء الطاعون وغيره من الأوبئة والأمراض المهلكة. ولا حجر على واسع فضل الله تعالى ورحمته.

٤- وباء الطاعون الذي تحدث عنه العلماء قديما بلغة الطب المعاصرة له ثلاثة أشكال سريرية:

الأول: الطاعون اللمفاوي الورمي (الدبل)

وهو -كما تقول منظمة الصحة العالمية- ينجم عن لدغة برغوث حامل للعدوى. وتخترق عصوية الطاعون، أي اليرسنية الطاعونية، الجسم في موضع اللدغة وتعبر الجهاز الليمفاوي لتصل إلى أقرب عقدة ليمفاوية وتتكاثر فيها. ثم تلتهب العقدة الليمفاوية وتتوتر وتصبح مؤلمة ويُطلق عليها اسم "الدبل". وفي مراحل العدوى المتقدمة، يمكن أن تتحول العقد الليمفاوية الملتهبة إلى قرحات مفتوحة مليئة بالقيح، وهذا ماعبر عنه ابن سينا في وصفه السابق لأعراض الطاعون. ومن الممكن أن يتطور الطاعون الدبلي وينتشر إلى الرئتين، فيما يُعرف باسم الطاعون الرئوي .

الثاني:الطاعون الرئوي: وهو أشد أشكال الطاعون فتكاً. وقد لا تزيد فترة حضانته على ٢٤ ساعة. وأي شخص مصاب بالطاعون الرئوي قد ينقل المرض عن طريق الرذاذ إلى البشر الآخرين.

الثالث: طاعون تعفن الدم، وتغزو فيه البكتريا تيار الدم فتحدث الوفاة قبل أن يتمكن الشكل اللمفاوي أو الرئوي من الظهور، وقد تحدث الوفاة خلال أربع وعشرين ساعة.

ونجد في أوصـــاف الأطباء قديما مايشـــير إلى هذه الأنواع الثلاثة لكنهم يمزجون بينها. (١)

٥- إذا كان الوباء هو المرض المعد الذي ينتشر بسرعة في مجموعة كبيرة من البلاد ..كما ســـبق بيانه فإنه وإن لم يكن طاعونا من الناحية الحديثية إلا أنه يأخذ أحكام الطاعون في التعامل معه من حيث الحجر، وعدم القدوم عليه ونحوه بجامع العلة.

* * *

الفرع الثالث: المقصود بكوفيد-١٩

في الحادي والثلاثين من ديسمبر عام ٢٠١٩م ظهرت حالات التهاب رئوي حاد في مدينة ووهان بالصـــين،والســـبب مرض غير معروف، ثم أعلنت الســلطات الصـينية يوم ٢٠٢٠/١/٧م أن المســبب لتلك الحالات فيروس كورونا الجديد (كوفيد-١٩)، وهناك اعتقاد بأنه مرتبط بالحيوانات، لأن معظم الحالات الأولية كان لها ارتباط بسـوق للبحريات والحيوانات في مدينة ووهان الصـينية وانتقل منها إلى الإنســان، ثم انتقل هذا الفيروس بين الناس عن طريق المخالطة القريبة دون حماية، وتشـــمل أعراضـــه: الحمى، السـعال، ضـيق التنفس، فقدان الشـم،...وأحيانا تطور إلى التهاب

(١) انـظـر:مـوقـع مـنـظـمـة الصـــحـة الـعـالـمـيـة https://www.who.int/features/qa/plague/ar/
وانظر:مقدمة كتاب (بذل الماعون في فضل الطاعون) ،لابن حجر، صـ٢٣ ترجمة عن الموسوعة البريطانية،تحقيق:أحمد عصام، دار العاصمة، الرياض.بدون.

رؤي حاد قد يتسبب في مضاعفات لدى ذوي المناعة الضعيفة فيودي بحياتهم، [١]

ثم واصل الفيروس انتشاره في قارات العالم بسرعة أثارت الخوف بين الناس جميعا، وعطل مظاهر الحياة، مما جعل منظمة الصحة العالمية تعلن في الحادي عشر من فبراير ٢٠٢٠ أن كوفيد-١٩ هو الاسم الرسمي للمرض. وأشار المدير العام لمنظمة الصحة العالمية تيدروس أدهانوم إلى أن مقطع «كو» يشير إلى «كورونا» ومقطع «في» يشير إلى «فيروس» ومقطع «د» يعني داء (بالإنجليزية disease)، أما رقم ١٩ فيشير إلى العام، إذ أُعلن عن تفشي المرض الجديد بشكل رسمي في الحادي والثلاثين من ديسمبر عام ٢٠١٩م.

وفي الوقت ذاته تطلق منظمة الصحة العالمية على الفيروس المسبب لهذا المرض اسم، فيروس كورونا ٢ المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة (سارس كوف ٢). [٢]

وكانت منظمة الصحة العالمية تتردد في تصنيفه بادئ الأمر وباء عالميا، إلا أن المنظمة بعدما أبلغت بإصابة ١٢٥ ألف حالة في ١١٨ دولة خلال أسبوعين، اضطرت إلى تصنيفه وباء عالميا "جائحة" لسببين

---

(١)انظر: موقع وزارة الصحة السعودية -التوعية الصحية ١٤٤١/٧/١هـ.

(٢)انظر: الموقع الإلكتروني للمنظمة العالمية الصفحة الخاصة بكوفيد-١٩:
https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019

شبكة معلومات المنظمة عن الوبائيات: **https://www.who.int/epi-win**

وانظر: ويكيبيديا، مرض فيروس كورونا ٢٠١٩.

:كما يقول رئيسها الدكتور تيدروس أدهانوم:[إن المنظمة ستستخدم هذا المصطلح لسببين رئيسين هما: سرعة تفشي العدوى واتساع نطاقها والقلق الشديد إزاء "قصور النهج الذي تتبعه بعض الدول على مستوى الإرادة السياسية اللازمة للسيطرة على هذا التفشي" للفيروس.] (١)

إذن قررت المنظمات الصحية العالمية تصنيف هذا الداء الجديد وباء عالميا.

فكيف يتعامل المسلم مع ربه إذا ابتلاه الله تعالى بنزول الأوبئة والشدائد والمصائب؟ ماالعبادات القلبية التي ينبغي أن يفر إليها ويلوذ بها لعل الله تعالى يدفع ويرفع بها الوباء والبلاء؟ هذا ما تعرض له المباحث التالية:

(١) انظر: موقع بي بي سي عربي، فيروس كورونا،لماذا صنفته منظمة الصحة وباء عالميا، ١٢ مارس/٢٠٢٠م

https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-51854975

توطئة:

الالتجاء إلى الله تعالى والتقرب إليه، مطلوب في جميع الأحوال، إلا أنه عند اشتداد الكرب ووقوع البلاء، يكون الالتجاء إلى تعالى أشد وأعظم، لأن المؤمن يوقن أن الله هو الذي خلق الداء، ولايقع شيئ في كونه إلا بعلمه وإرادته، وهو القادر على كشف الضر عن عباده، وهذا يدفع روح المؤمن دفعا إلى التوجه إليه سبحانه، راجيا المعافاة، ومتقربا إليه بما يحب من العبادات لرفع الضر الذي نزل.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض صور اللجوء إليه سبحانه، والتي يحبها من عباده جميعا عند اشتداد البلاء، ونزول ما لا قبل للإنسان به، ولعل أبرزها:

(الرجوع إلى الله تعالى، التضرع والاستكانة، الدعاء الخالص، الصبر والاحتساب، تحقيق الإيمان، التوكل على الله، الاتعاظ والاعتبار). وحتى لا يطول البحث أكتفي بعرض الأربع الأول في المباحث التالية:

المبحث الأول:

الرجوع إلى الله تعالى عند وقوع الوباء طلبا لدفعه

يصيب الله تعالى الناس بالشدة في العيش، والمصائب والبلايا في أنفسهم وأموالهم، رجاء أن ينتبهوا ويرجعوا إليه، خشية أن يحيط بهم ما هو أشد منه. والآيات التي تقرر هذه الحقيقة كثيرة، أعرض بعضا منها، ثم أبين حقيقة الرجوع إليه تعالى شأنه في المطالب التالية:

المطلب الأول :

الآيات الدالة على الرجوع إلى الله تعالى عند الشدائد

من تلك الآيات ما يلي:

أولا: قوله تعالى في شأن فرعون وقومه ﴿ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1]

جاء هذا تعقيبا على فرعون وقومه بعد أن غمرهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم،

وفي التفسير الوسيط لهذه الآية[.. أي: وأَخذناهم بالعذاب المتدرج المتكرر الذي تشتمل عليه تلك الآيات، لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر، ولم نعاجلهم بالعذاب المستأصل.] [2]

---

(١) الزخرف: ٤٨

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم،(٩/ ٨١٦): المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) .

فالرجوع إلى الله تعالى عند نزول البلاء مطلوب من كل إنسان، من الكافر ليرجع عن كفره، ومن الظالم والفاسق ليرجع عن ظلمه وفسقه.

* **ثانيا**: **قوله تعالى في شأن بني إسرائيل**: ﴿ **وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[1] أي اختبرناهم بالنعم والنقم والشدة والرخاء لعلهم يرجعون عن الكفر والمعاصي[2] ، فاختبارهم بالنعم والنقم، كان تهيئة لهم وإعداداً للتوبة إن آثروا التوبة على الاستمرار في الإجرام والشَّرِّ والفساد،[3] والله سبحانه هو الحكيم الخبير بالعباد، فالعبد في حال الشدة والبلاء، وقسوة المصائب، يدرك ضعفه، وقوة ربه وأنه هو الضار النافع، وأنه هو القادر على كل شيئ، فإذا عرف ذلك وآمن به، رجع إلى الحق واهتدى، ولذلك قال سبحانه: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)، أي أن الله تعالى – كما يقول الشيخ أبو زهرة –[عاملهم معاملة من يريد أن يرجعوا إلى جنابه الأعلى وساحته العليا، فيهتدوا بعد بُعْدٍ عنه سبحانه.] [4]

- ويجوز أن تكون النعم أيضا من أسباب الرجوع إلى الله والتوبة على وجه من وجوه التفسير كما جاء في تفسير الماتريدي، حيث

---

(١) الأعراف : من الآية:١٦٨

(٢) انظر: صفوة التفاسير» (١/ ٤٤٤)، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(٣) «أيسر التفاسير للجزائري» (٢/ ٢٥٧):

(٤) «زهرة التفاسير» (٦/ ٢٩٩٥): زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي.

يقول:[وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) فهو يخرج على وجوه:

- **أحدها: بلوناهم بالنعم والخصب والسعة؛ ليعرفوا فضل الله وإحسانه فيرجعوا إليه بالشكر والثناء، و (وَالسَّيِّئَاتِ)، أي: بالبلايا في أنفسهم أو المصائب والضيق؛ ليعرفوا قدرة الله وسلطانه، فيرجعوا إليه بالتضرع والفزع والدعاء والتوبة.]** (١)

ثالثا: قوله تعالى في شأن قريش: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٢) جاء في «أيسر التفاسير للجزائري» [قوله تعالى {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى} وهو عذاب الدنيا بالقحط والغلاء والقتل والأسر {دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} وهو عذاب يوم القيامة {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون} يخبر تعالى أنه فاعل ذلك بكفار قريش لعلهم يتوبون إلى الإيمان والتوحيد فينجوا من العذاب وينعموا في الجنة وفعلاً قد تاب منهم كثيرون..](٣)

[وَجُمْلَةُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ لِحِكْمَةِ إِذَاقَتِهِمُ الْعَذَابَ الْأَدْنَى فِي الدُّنْيَا بِأَنَّهُ لِرَجَاءِ رُجُوعِهِمْ، أَيْ رُجُوعِهِمْ عَنِ الْكُفْرِ بِالْإِيمَانِ. وَالْمُرَادُ:

---

(١) «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٥/ ٧٧)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٢) سُورَة السجدة: آيَة ٢١.

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،(٤/ ٢٣٣): المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

رُجُوعُ مَنْ يُمْكِنُ رُجُوعُهُ وَهُمُ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ. وَإِسْنَادُ الرُّجُوعِ إِلَى ضَمِيرِ جَمِيعِهِمْ بِاعْتِبَارِ الْقَبِيلَةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَيْ لَعَلَّ جَمَاعَتَهُمْ تَرْجِعُ.] (١)

نستنتج من هذه الآيات، أن الله تعالى كان يأخذ قريشا ومن قبلها بأنواع من المصائب، والغاية منها رجاء أن ينتبهوا ويرجعوا إلى الله تائبين. وهذه المصائب لون من العذاب في الدنيا وقبل الموت، وهو لا يبلغ مبلغ العذاب الأكبر في نار جهنم يوم القيامة.

وقد أصاب قريشا ألوان من الجوع والخوف والذل خاصة في بدر من قتل وأسر، وصغار يوم الفتح الأكبر. وقد تحقق الرجوع من بعضهم، فدخلوا في دين الله بعد بدر، ويوم الفتح كان الدخول في دين الله أفواجا فكانت المصائب والمحن في حق من اعتبر فرجع نعمة ومنحة.

المطلب الثاني

حقيقة الرجوع إلى الله تعالى وشروطه .

تبين من الآيات الكريمة السابقة أن الحكمة من ابتلاء الكفار والفاسقين بالعذاب والمصائب هي رجاء رجوعهم .(لعلهم يرجعون) فما المقصود بالرجوع؟ وما شروطه؟ إليك البيان.

الرجوع في اللغة يدور على معنى العودة،جاء في [«مقاييس اللغة» (رَجَعَ) الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ كَبِيرٌ .. يَدُلُّ عَلَى رَدٍّ وَتَكْرَارٍ. تَقُولُ: رَجَعَ

(١) «التحرير والتنوير» (٢١/ ٢٣٣) الشيخ: محمد الطاهربن محمدبن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

يَرْجِعُ رُجُوعًا، إِذَا عَادَ.] [1] **وفي [«المفردات في غريب القرآن» [الرُّجُوعُ: العود إلى ما كان منه البدء، ... فَالرُّجُوعُ: العود، والرَّجْعُ: الإعادة ..]**[2] **وكما نقول رجع المسافر إلى وطنه إذا عاد إليه.والرجوع إلى الله تعالى – كما ذكر كثير من المفسرين**[3] **– أي الرجوع إلى الإيمان والطاعة، وترك ما نهى الله تعالى عنه من الكفر والشرك و المعاصي والسيئات.**

وهذا هو معنى التوبة كما يقول صاحب التحرير والتنوير[4] **لأن التوبة في اللغة تدور على معنى الرجوع والعودة أيضا. يقول ابن فارس:**

[التَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الرُّجُوعِ. يُقَالُ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ، أَيْ رَجَعَ عَنْهُ] [5] **، [وَالتَّوْبَةُ هِيَ رُجُوعُ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ، وَمُفَارَقَتُهُ لِصِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ،]** [6]

---

(١) معجم مقاييس اللغة،ابن فارس، (٢/ ٤٩٠):باختصار يسير

(٢) المفردات في غريب القرآن، (ص٣٤٢)، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)،المحقق: صفوان الداودي: دار القلم، الدار الشامية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي ، (٧/ ٤٤٢١):، «تفسير المنار» (٩/ ٣٢٢): «تفسير الطبري » (١٣/ ٢٠٩): «تفسير الزمخشري » (٢/ ١٧٣):

(٤) انظر: التحرير والتنوير ، (٩/ ١٥٨):

(٥) «معجم مقاييس اللغة» ، ابن فارس، (١/ ٣٥٧).

(٦) " **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**" (**١/ ١٩٧**) ، ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)،تحقيق، محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط، الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

والتوبة يحتاج إليها العبد في بدايته ونهايته كذلك. ومما لا ريب فيه أن للمصائب تأثيرها في الأنفس ، وكثيرا ما نشاهد هذا الترابط بين المصائب والرجوع إلى الله تعالى والتوبة إليه في الواقع، فكم من أناس كانوا معرضين عن الله تعالى، وبسبب مرض أو مصيبة أو مشاهدة مصيبة، أو موت قريب أو صديق تابوا وأنابوا ورجعوا إلى الله تعالى، وهذا الرجوع وتلك التوبة الصادقة مما يستدفع بها البلاء، ويرفع بها الوباء، وهذا يقتضي الرجوع عن فساد الإنسان في نفسه، وكذلك إفساده في الأرض والبيئة والزراعة وكل ألوان الإفساد في كون الله تعالى، وليس مجرد المعاصي المعهودة. فإذا عاد العباد إلى ربهم، ورجعوا عن ذنوبهم، تائبين صادقين عاد بفضله ورحمته عليهم وكشف الضر عنهم.

شروط الرجوع إلى الله تعالى

إذا تقرر أن الرجوع إلى الله يعني التوبة، فإنه يستنتج من ذلك أن شروط الرجوع إلى الله هي شروط التوبة المعروفة،[قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لَا تَتَعلَّقُ بحقّ آدَمِيّ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:أحَدُها: أَنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.والثَّالثُ: أَنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا.فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ.وإنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعَلقُ بآدَمِيّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقّ صَاحِبِها.] [1]

(١) رياض الصالحين، النووي (صـــ١٤): ت: الفحل؛ وانظر: مدارج السالكين » (١/ ١٩٩):

والتوبة تقتضي معرفة الذنوب التي يتوب منها، يقول أبو حامد الغزالي في إحيائه:

[اعْلَمْ أَنَّ التَّوْبَةَ تَرْكُ الذَّنْبِ وَلَا يُمْكِنُ تَرْكُ الشَّيْءِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَإِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ وَاجِبَةً كَانَ مَا لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا إلا به واجباً، فمعرفة الذنوب إذن وَاجِبَةٌ، وَالذَّنْبُ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ مُخَالِفٌ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَرْكٍ أَوْ فعل، وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا] (١)

وينبغي على العلماء والمفكرين والدعاة في الأمة أن يميطوا اللثام عن **المعاصي الجسام** التي تستجلب البلاء، وتستمطر الوباء، كالشرك، والبغي، والعقوق، ونحو ذلك من المعاصي التي تقتضي عقوبات معجلة في الدنيا، وكذلك تلك المعاصي في **المجال الفكري** التي مزقت وحدة الأمة الثقافية، وكذلك المعاصي المتعلقة بالتقصير في **فروض الكفايات**، والتي أدت بالأمة إلى التقهقر المدني والعسكري، ودفعت الأمة ثمنا باهظا وما زالت تدفع من عزتها وأرضها ودينها،

إن أعداء الإسلام -كما يقول الشيخ محمد الغزالي:[تصرخ أعمالهم بما يبيتون، إنهم يريدون القضاء على الإسلام، وقد رسموا الخطط، وبدأوا التنفيذ، أطرافنا تنتقص يوما بعد يوم، بل صميمنا مهدد بالضياع، والاستعمار الثقافي مصر على محو شرائعنا، يعينه كتاب مرتدون، أو

(١) إحياء علوم الدين» (٤/ ١٦)، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

ساسة مبغضون لكتاب الله وسنة رسوله، فما موقف المسلم في هذا العصر الذي تطورت فيه الحروب فانتظم جهازها كل شيئ، ...إن كل تفريط مدني أو عسكري في خدمة الإسلام فهو عصيان...إن الكدح لله يتجاوز المسجد ليتناول الحقل والمصنع، والمرصد، والدكان، والديوان، والبر، والبحر،..الإسلام رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم أجدر بالحياة، وأقدر على النجاح، وكل ما يعين على ذلك فهو دين، أو كما يقول علماء الإسلام ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[1]،...إنه لو قيل لكل شيئ في البلاد الإسلامية عد من حيث جئت،لخشيت أن يمشي الناس حفاة عراة، لا يجدون من صنع أيديهم ما يكتسون، ولا ما ينتعلون، ولا ما يركبون، ولا ما يضيئ لهم البيوت، بل خشيت أن يجوعوا لأن بلادهم لا تستطيع الاكتفاء الذاتي من الحبوب...ولا أدري كيف نزعم الإيمان والجهاد ونحن نعاني من هذه الطفولة التي تجعل غيرنا يطعمنا ويداوينا، ويمدنا بالسلاح إذا شاء..] [2]

هذه الصرخة التي يطلقها الشيخ الغزالي تنبه إلى جانب من المعاصي غفل عنه الكثير، وأدى بدوره إلى عجز الأمة عن استخراج بركات الله في الأرض، وعجزها عن تجنيد المواهب لامتلاك عناصر القوة التي تنقذ المستضعفين، وتحمي رسالتها وتنصر حقها وتقضي لربها ولنفسها ما تشاء.

---

(١) انظر:الفتاوى لابن تيمية:(٢٠/١٢٠) .

(٢) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص٢٢-٢٦ للشيخ محمد الغزالي، كتاب الأمة العدد (١) ١٤٠٢هـ.باختصار كبير.

فليعلم الناس أن امتلاك ناصية الحياة بعلم وكفاءة، لخدمة الدين لون من ألوان الجهاد في سبيل الله، وإهمال ذلك إلقاء بالأمة إلى التهلكة والذل والمسكنة، ويجب التوبة منه والرجوع إلى طاعة الله والإنابة إليه والتخلي عن هذه المعاصي التي تضعف المجتمع المسلم.

وبذلك يكون من أهم أسباب رفع الوباء والبلاء النازل بأهل الكفر والاستكبار، أو الفسوق والعصيان الرجوع إلى الله، أو التوبة الصادقة من الكفر والنفاق والشرك، وإهمال الفرائض العينية والكفائية، والدخول في الإيمان الحق والعمل الصالح الذي يستوعب جميع شئون الحياة.

المبحث الثاني: التضرع إلى الله تعالى

بين القرآن الكريم بجلاء، أن الشدائد والمصائب يترتب عليها غالبا بحسب طبائع البشر وأخلاقهم كسر الغرور في نفوسهم، و التضرع إلى ربهم، ومن ثم يعتبر التضرع من أهم مظاهر اللجوء إلى الله تعالى في زمن الوباء. وتوضيح هذه المسألة في المطالب التالية:

المطلب الأول:

مفهوم التضرع

التضرع في لسان العرب يدور حول معاني: التذلل والخشوع والابتهال، والسؤال، والخضوع لمن أخذ بيدك في شيئ.

يقول ابن منظور في لسانه:[ضرع: ضَرَعَ إِليه يَضْرَعُ ضَرَعاً وضَراعةً: خَضَعَ وذلَّ، فَهُوَ ضارِعٌ، ... وتضرَّع: تذلَّل وتخشَّع. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا) [1] ، فَمَعْنَاهُ تذلَّلوا وخضَعوا. وَيُقَالُ: ضرَع فُلَانٌ لِفُلَانٍ وضَرِعَ لَهُ إِذا مَا تخشَّع لَهُ وسأَله أَن يُعْطِيَه؛.. وَيُقَالُ: ضرَع لَهُ واستَضْرَعَ. والضارِعُ: المتذلِّلُ للغَنِيّ. وتضرَّع إِلى اللَّهِ أَي ابْتَهَلَ. والتضرُّعُ: التَّلَوِّي والاستغاثةُ.] [2] وَيُقَال تضرع إِلَى الله ابتهل وَمِنْه تقرب فِي روغان. [3]

---

(١) [الأنعام، من الآية: ٤٣]

(٢) «لسان العرب» (٨/ ٢٢١،٢٢٢):باختصار.

(٣) انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٥٣٩):

المطلب الثاني:

مواطن التضرع في القرآن الكريم عند البلاء

ورد الحض على التضـرع إلى الله تعالى في زمن المحن، واشـتداد الكروب في أكثر من موطن، في القرآن الكريم ومن ذلك ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ (١)

٢- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (٢)

٣- وقال جل شـأنه: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٣)

• حول الآية الأولى(٤) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره:

[يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا اخْتَبَرَ بِهِ الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، يَعْنِي {بِالْبَأْسَاءِ} مَا يُصِيبُهُمْ فِي أَبْدَانِهِمْ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَسْقَامٍ. {وَالضَّرَّاءِ} مَا يُصِيبُهُمْ مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، {لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} أَيْ: يَدْعُونَ وَيَخْشَعُونَ وَيَبْتَهِلُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كَشْفِ مَا

(١) [الأعراف: ٩٤].
(٢) [الأنعام: ٤٢-٤٣].
(٣) [المؤمنون: ٧٦]
(٤) [الأعراف: ٩٤]

نَزَلَ بِهِمْ..وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَنَّهُ ابْتَلَاهُمْ بِالشِّدَّةِ لِيَتَضَرَّعُوا، فَمَا فَعَلُوا شَيْئًا مِنَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُمْ،][1]

في هذه الآية الكريمة، بيان من الله تعالى بأحوال الأمم السابقة غير المؤمنة، والمكذبة لرسل الله، والمغرورين بالدنيا ومتعها، أو بصحتهم وقوتهم وثروتهم، بأن الله تعالى يعالج نفوس هذه الأمم، بالحرمان مما متعهم الله به، ليذوقوا مر العيش، وآلام الأمراض، عسى أن ينكسر غرورهم، فيتجهون إلى الله القوي القادر داعين خاشعين مبتهلين، متذللين، تائبين منقادين لله رب العالمين.

والله سبحانه وتعالى يعالج هذه النفوس بأمرين: أخذهم بالبأساء، والضراء، وقد اختلف المفسرون في تحديد المعنى فكما ورد عن ابن كثير، أن البأساء، ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأوبئة، والضراء، الفقر والحاجة، غير أن الماوردي أورد في تفسيره [أربعة أقاويل: أحدها: أن البأساء: القحط، والضراء: الأمراض والشدائد، قاله الحسن. والثاني: أن البأساء الجوع، والضراء: الفقر، قاله ابن عباس. والثالث: أن البأساء: البلاء، والضراء الزمانة. والرابع: أن البأساء: ما نالهم من الشدة في

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (**٣/ ٤٤٩**)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة:الثانية ١٤٢٠هـ.

أنفسهم. والضراء: ما نالهم في أموالهم , حكاه علي بن عيسى. ويحتمل قولاً خامساً: أن البأساء الحروب] (١)

وقال الرازي:[. قَالَ الزَّجَّاجُ: الْبَأْسَاءُ كُلُّ مَا نَالَهُمْ مِنَ الشِّدَّةِ فِي أَحْوَالِهِمْ، وَالضَّرَّاءُ مَا نَالَهُمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَقِيلَ عَلَى الْعَكْسِ،](٢) **ويقول الزمخشري: [إِلَّا أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ بالبؤس والفقر، وَالضَّرَّاءِ بالضر والمرض]** (٣).

وعلى آية حال فالمعاني متقاربة، إنها شدة الكرب والمحن التي تصيب الأحوال للإنسان، فالبؤس والفقر يأتي في الحال، يقال: حاله بائس، والضراء تأتي في البدن من أمراض وآلام. والغاية من ذلك المسارعة إلى التضرع فهذا أوانه، [لِكَيْ يَضَّرَّعُوا، مَعْنَاهُ: يَتَضَرَّعُوا، وَالتَّضَرُّعُ هُوَ الْخُضُوعُ

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، (**٢/ ٢٤٢**)، ت: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .

(٢) **تفسير الرازي** = مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الملقب بفخر الدين الرازي (توفي: ٦٠٦هـ)، (**١٤/ ٣٢١**)، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط، الثالثة –١٤٢٠هـ.

(٣) • **تفسير الزمخشري** = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، (**٢/ ١٣٢**): الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

وَالِانْقِيَادُ لِلَّهِ تَعَالَى،][1]وقيل [يتذللون ويتخشـــعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم] [2] .

جاء في التحرير والتنوير:[(لَوْلَا) هُنَا حَرْفُ تَوْبِيخٍ لِدُخُولِهَا عَلَى جُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ مَاضَوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَيْسَتْ (لَوْلَا) حَرْفَ امْتِنَاعٍ لِوُجُودٍ...وَيَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ (لَوْلَا) هُنَا لِلتَّمَنِّي .. وَيَكُونَ التَّمَنِّي كِنَايَةً عَنِ الْإِخْبَارِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ الْأَمْرَ الْمُتَمَنَّى ..

فَتَكُونَ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ مَا عُبِّرَ عَنْهُ بِالْفَرَحِ فِي الْحَدِيثِ «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ»[3]

الْحَدِيثَ.وَتَقْدِيمُ الظَّرْفِ الْمُضَافِ مَعَ جُمْلَتِهِ عَلَى عَامِلِهِ فِي قَوْلِهِ (إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا)لِلِاهْتِمَامِ بِمَضْمُونِ جُمْلَتِهِ، وَأَنَّهُ زَمَنٌ يَحِقُّ أَنْ يَكُونَ بَاعِثًا عَلَى الْإِسْرَاعِ بِالتَّضَرُّعِ مِمَّا حَصَلَ فِيهِ مِنَ الْبَأْسِ.] [4].

• **وحول الآيتين من سورة الأنعام** [5] يقول صاحب المنار[مَعْنَى الْآيَةِ: نُقْسِمُ أَنَّنَا قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى تَوْحِيدِنَا وَعِبَادَتِنَا فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ مُعِدًّا لَهُمْ لِلْإِيمَانِ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ – بِحَسَبِ طِبَاعِ الْبَشَرِ وَأَخْلَاقِهِمْ – مِنَ التَّضَرُّعِ وَالْجُؤَارِ بِالدُّعَاءِ لِرَبِّهِمْ، إِذْ مَضَتْ سُنَّتُنَا بِجَعْلِ الشَّدَائِدِ مُرَبِّيَةً

(١) تفسير الرازي » (١٤/ ٣٢١):

(٢) «تفسير الزمخشري » (٢/ ٢٣):

(٣) انظر:«صحيح البخاري» ك: الدعوات،ب: التوبة،(٨/ ٦٨).

(٤) «التحرير والتنوير» (٧/ ٢٢٨):

(٥) [الأنعام: ٤٢-٤٣]

لِلنَّاسِ بِمَا تُرْجِعُ الْمَغْرُورِينَ عَنْ غُرُورِهِمْ، وَتَكُفُّ الْفُجَّارَ عَنْ فُجُورِهِمْ، ...، وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ إِلَى غَايَةٍ مِنَ الشِّرْكِ وَالْفِسْقِ لَا يُزِيلُهَا بَأْسٌ، وَلَا يُزَلْزِلُهَا بُؤْسٌ، فَلَا تَنْفَعُ مَعَهُمُ الْعِبَرُ وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهِمُ الْغِيَرُ، وَكَانَ أُولَئِكَ الْأَقْوَامُ مِنْهُمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ:

(فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) جَعَلَ ابْنُ جَرِيرٍ " لَوْلَا " هُنَا لِلتَّحْضِيضِ بِمَعْنَى " هَلَّا "، وَجَعَلَهَا الْجُمْهُورُ نَافِيَةً، أَيْ فَهَلَّا تَضَرَّعُوا خَاشِعِينَ لَنَا تَائِبِينَ إِلَيْنَا عِنْدَمَا جَاءَهُمُ الْبَئِيسُ مِنْ عَذَابِنَا، فَرَأَوْا بَوَادِرَهُ وَحَذِرُوا أَوَاخِرَهُ، لِنَكْشِفَهُ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُحِيطَ بِهِمْ؟ أَوْ فَمَا خَشَعُوا وَلَا تَضَرَّعُوا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا] [1]

وقال جل شأنه في سورة المؤمنون مبينا طبائع الكافرين عند نزول الشدائد والعقوبات الدنيوية : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [2] ويقول الشيخ سيد طنطاوي–رحمه الله: [والمراد بالعذاب هنا: العذاب الدنيوي كالجوع والقحط والمصائب.

والاستكانة: الانتقال من كون إلى كون ومن حال إلى حال. ثم غلب استعمال هذه الكلمة في الانتقال من حال التكبر والغرور إلى حال التذلل والخضوع أى: ولقد أخذنا هؤلاء الطغاة، بالعذاب الشديد، كالفقر، والمصائب والأمراض فما خضعوا لربهم– عز وجل– وما انقادوا له

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): (٧/ ٣٤٥، ٣٤٦) باختصار يسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م.

(٢) المؤمنون: ٧٦

وأطاعوه، وما تضـرعوا إليه- سـبحانه- بالدعاء الخالص لوجهه الكريم، لكي يكشف عنهم- عز وجل- ما نزل بهم من ضر.] (١)

ويقول الشـيخ الشـعراوي رحمه الله:[اسـتكان فلان، لا تقال إلا لمَنْ كان مُتحركاً حركةً شـريرة، ثم هدأ وسـكن، نقول: فلان (انكَنّ) أو اسـتكان وأصـلها (كوْن) فالمعنى: طلب وجوداً جديداً غير الوجود الذي كان عليه، أو حالاً غير الحال الذي كان عليه أولاً، فقبل أنْ يستكين ويخضـع كان لا بُدَّ مُتمرّداً على ربه.... والاسـتكانة لله بأخْذ أوامره بمنتهى الخضـوع وبمنتهى الطاعة، لكنهم ما فعلوا وما استكانوا،](٢)

إن هذا الصـنف من البشـر لم ترقق البأسـاء والضـراء قلوبهم، فلم يتجهوا إلى الله تعالى بالخضـوع التام لأوامره، ولم ينتقلوا من الكون والحال الذي هم فيه من الجحود والتكذيب والمعاصـي والظلم، إلى الكون الذي يدعوهم إليه رسـولهم من الإيمان والعمل الصـالح، وما اتجهوا إلى الله تعالى بالضـراعة والدعاء الدائم المتجدد، بعد رفع البأسـاء والضـراء كما يفعل المؤمنون الضارعون لربهم ، فهؤلاء الكفرة قد لا يتضرعون أصلا في وقت الشـدة، أو يتضـرعون في وقت البلاء فقط، كما فعل قوم فرعون، وكذلك المشركون إذا مسهم الضر في البحر، تضرعوا بإخلاص لله، فلما نجاهم أعرضـوا عن اسـتمرار التضـرع والخضـوع لله، وتمردوا وعادوا إلى شـركهم وظلمهم لأنفسـهم وغيرهم، وهذا شـأن الكافرين في كل عصـر

---

(١) «التفسير الوسيط لطنطاوي» (١٠/ ٥٥)

(٢) «تفسـير الشـعراوي» الخواطر، (١٦/ ١٠١٠٣)، محمد متولي الشـعراوي (ت: ١٤١٨هـ): مطابع أخبار اليوم.

ومصر، يقول القرطبي رحمه الله:["{فَلَوْلا} تَحْضِيضٌ، وَهِيَ الَّتِي تَلِّي الْفِعْلَ بِمَعْنَى هَلَّا، وَهَذَا عِتَابٌ عَلَى تَرْكِ الدُّعَاءِ، وَإِخْبَارٌ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَضَرَّعُوا حِينَ نُزُولِ الْعَذَابِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا تَضَرَّعُوا تَضَرُّعَ مَنْ لَمْ يُخْلِصْ، أَوْ تَضَرَّعُوا حِينَ لَابَسَهُمُ الْعَذَابُ، وَالتَّضَرُّعُ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ غَيْرُ نَافِعٍ] (١) وهل كانت الشدائد إلا لنزع الإنسان من ظلمه وشره، وتغير حاله؟ [وَالتَّعْبِيرُ بِالْمُضَارِعِ فِي يَتَضَرَّعُونَ لِدَلَالَتِهِ عَلَى تَجَدُّدِ انْتِفَاءِ تَضَرُّعِهِمْ.وَالتَّضَرُّعُ:الدُّعَاءُ بِتَذَلُّلٍ] (٢)

وللأثر الطيب للتذلل والاستكانة والانكسار، أمر الله تعالى به عند الذكر وعند الدعاء، تأمل قوله تعالى في آية الذكر ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾(٣) وفي آية الدعاء ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾(٤) فذكر التضرع فيهما معا وهو التذلل والتمسكن والانكسار وهو روح الذكر والدعاء. (٥)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [٦/٤٢٥].

(٢) «التحرير والتنوير» (١٨/ ١٠١):

(٣) الأعراف: ٢٠٥

(٤) الأعراف: ٥٥

(٥) انظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (٣/ ١٠). الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

المطلب الثالث:

موانع التضرع

يقول تعالى شأنه:﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١)

كشفت آية الأنعام سر الإعراض عن التضرع، وعدم الاتعاظ بالشدائد والعقوبات الدنيوية الاقتصادية والبدنية، وتتمثل في أمرين:

الأول: قسوة القلب

الثاني: تزيين الشيطان لقساة القلوب ما هم عليه من الكفر والظلم.

يوضح هذين السببين الإمام أبو زهرة فيقول: [كان ينبغي أن يكون البأس الشديد مؤديا إلى ضراعتهم، لأنه يشعرهم بضعفهم أمام قدرة الله تعالى الغالب القاهر فوق كل شيء، لكن الإحساس بالضعف الذي دل عليه نزول البأس عليهم – ولا قبل لهم – وجد مانعان يمنعان أثره، فإذا كان قد وجد سبب الضراعة فقد وجد المانع منها، والمانع منها أمران:

أحدهما – قسوة القلوب...والضراعة وقسوة القلوب لَا يجتمعان ولو نزلت الشدائد، وإن ضرعوا فإلى أمد محدود، ثم تعود إليهم أحوالهم. والسبب في أن القسوة والضراعة نقيضان لَا يجتمعان، أن القسوة غلظ في النفوس والطباع، وإن بعض النفوس لتقسو حتى تكون كالحجارة أو أشد قسوة، والضراعة رقة في القلب ورأفة في النفس، وإحساس بآلام الغير وآلام النفس، فلا يكون القاسي ضارعا ولو كان جبانا، إذ الضراعة علو

(١) الأنعام:٤٣

مع رأفة ورحمة وطمأنينة والقسوة غلظة، وقد يكون الجبان غليظا، بل في أكثر الأحوال هو كذلك.

الأمر الثاني الذي يمنع الضراعة – تزيين الشيطان العمل للنفس. .إن الشيطان قد يراد به هنا النفس الأمارة بالسوء التي تزين السوء فتجعله كالحسن وما هو بحسن، وإن هذا التزيين النفسي لعمل السوء للنفس لَا يجعل الآثم يحس بإثم ما ارتكب.

والضراعة توجب الإحساس بذلك الإثم، حتى يتجه إلى ربه تائبًا توبة نصوحا، ومن أول درجات هذه التوبة أن يحس بإثم ما فعل. ثم يندم عليه. ثم يعتزم ألا يفعل، ولا يمكنه أن يكون ذلك ممن زين له سوء عمله فيراه حسنا وما هو بحسن.] [1] إذن قسوة القلوب، وتزيين السوء، يمحيان الآثار الحسنة التي تتركها البأساء والضراء من الاتعاظ والضراعة في القلب، ومن ثم ينتج من النسيان لآثار البأساء والضراء، عودة الغرور والاستكبار، وبالتالي لا تدفعهم الشدائد إلى التضرع والانكسار لله تعالى، أما القلب المؤمن فإنه دائم التضرع إلى الله تعالى، وإذا ابتلاه الله بشدة مالية أو صحية، لم يتجلد على ربه بل يقابل ذلك بمزيد من التذلل والانكسار، على حد قول ابن القيم حيث يصور قلب المؤمن إذا مسته البأساء والضراء فيقول: [الله يبتلي عبده ليسمع تضرعه ودعاءه والشكوى إليه، ولا يحب التجلد عليه، وأحب ما إليه انكسار قلب عبده بين يديه، وتذللـه له وإظهار ضعفه وفاقته وعجزه وقلة صبره، فاحذر كل الحذر من

(١) «زهرة التفاسير» (٥/ ٢٤٩٩)، باختصار كبير.

إظهار التجلد عليه، وعليك بالتضرع والتمسكن وإبداء العجز والفاقة والذل والضعف، فرحمته اقرب إلى هذا القلب من اليد للفم] (١)

المطلب الرابع: التضرع والانكسار عبادة الحاكم والمحكوم

مقابلة المحن والوباء بالتضـــرع، ليس عبادة قلة في المجتمع، بل هي عبادة المجتمع ، الحاكم والمحكوم في ذلك سواء ، وهذا ما فهمه الصحابة في عام المجاعة والبؤس الذي نزل بالمسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث لجأ حاكم المسلمين إلى ربه، وأقبل عليه بمزيد من التضرع والانكسار ، بعد أخذه بالأسباب المادية، من جمع للطعام وتوزيعه، والإشراف بنفسه على ذلك، ثم أضاف التضرع في الخلوات راجيا ربه أن يرفع البلاء ، جاء في الطبقات لابن ســـعد [عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَحْدَثَ فِي زَمَانِ الرَّمَادَةِ أَمْرًا مَا كَانَ يَفْعَلُهُ. لَقَدْ كَانَ يُصَـــلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَـاءَ ثم يخرج حتى يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَلا يَزَالُ يُصَـلِّي حَتَّى يَكُونَ آخر الليل. ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَأْتِي الأَنْقَابَ فَيَطُوفُ عَلَيْهَا وَإِنِّي لأَسْمَعُهُ لَيْلَةً فِي السَّحَرِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ هَلاكَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَى يَدَيَّ.] (٢)

---

(١) الروح لابن القيم (٧٥٧/١) تحقيق د. بســـام العموش، منشـــورات دار ابن تيمية، بالسعودية، ط، أولى ١٩٨٦م.

(٢) الطبقات الكبرى، (٣/ ٢٣٧): لأبي عبد الله محمد بن ســـعد بن منيع الهاشـــمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـــ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشـــر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

فالتضرع من الجميع منشود، كما أن التوبة التي تثمر الفلاح للمجتمع هي التوبة الجماعية لا الفردية، كما قال تعالى ﴿. وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾[1]

(١) النور: ٣١

المبحث الثالث :

الدعاء بإخلاص

يلجأ الإنسان بفطرته وعقله في الشدائد إلى ربه مظهرا حاجته وفقره واضطراره إليه، وفي هذا اعتراف من العبد بفقره، واعتراف في الوقت ذاته بربوبية الله الذي يسمع الدعاء، ويدفع الضر والبلاء إذا شاء.

وقد سجل القرآن الكريم على المشركين في مواطن كثيرة، أنهم إذا مستهم الشدائد والكروب، لا يلجأون إلا إلى الله مع أنهم كانوا يعبدون الأوثان، ومع هذا الشرك في العبادة، إلا أن الله تعالى يستجيب لهم، لأنهم في حال **اضطرار وإخلاص** في الدعاء. ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (1)

هكذا كان المشرك في حال ضعفه، تراه داعيا متضرعا، قد خلص نفسه من الشرك، وأحس بضعفه أمام القدرة الإلهية، وقد أيقن أنه لا كاشف للضر سواه، وأن ذلك كله جعله يلجأ إلى الله ولن يعبد سواه، هكذا ردته الشدائد إلى ربه، ويستجيب الله الدعاء ويخرجه من شدته، فإذا خرج من شدته نسي دعاءه، وعاد إلى شركه وكأن توبته كان فلتة نفسية تحدث أحيانا عند الكروب والشدائد.

وكان المشركون كذلك يلتجئون إلى الله بالدعاء والإخلاص إذا أصابهم المرض الشديد الذي يعجزهم.

---

(1) العنكبوت: ٦٥

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

فالإنسان المشرك إذا بلغ به الضر حدا لا يعرف سببه ولا يعرف له علاجا –كما يقول الشيخ أبو زهرة:

[يلجأ إلى ربه (دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) واللام في (لِجَنْبِهِ) بمعنى (على) وهي حال كونه مضطجعا على جنبه أو ملقى على جنبه لَا يستطيع حراكا لَا يملك أن يقعد، (أو قاعدا) لَا يستطيع أن يقوم (أَوْ قَائِمًا) لَا يمشي كما اعتاد. وتعدد هذه الأحوال للدلالة على أنه يدعو فيها كلها لَا في بعضها، وهذا دليل على شدة الالتجاء إلى الله وكثرة الالتجاء. أو يدعو في كل أحوال الأمراض ومنها ما يلقيه في الأرض، أو مرض يقعد فيه ولا يستطيع غيره، أو يقوم من غير قدرة على السير، والمراد في كل الأحوال كثرة الدعاء لله ..هذا حال الإنسان إذا مسه الضر، فإذا كشف عنه الضر، نسي ولم يفكر في حاله الذي كان عليه، وضراعته إلى ربه وأنه الملجأ والملاذ؛.. وطغت عليه وعلى تفكيره حال الصحة، ونسي الله ونسي ضعفه، وأنه لَا يمكنه العيش دون رعاية الله وتدبيره، ...

(كَشَفْنَا عَنْهُ ضرَّهُ)، معناها أزلنا عنه حال الضر وكأنها كانت غشاء أخفى كفره، فلما زال الغشاء عادت حقيقته كما كانت. وقوله: (كأن لَّمْ يَدْعنَا إِلَى

(١) يونس: ١٢

ضُـرٍّ مسَّـه) ..أي كان الشـأن أنه لم يدع الله إلى ضـر مسـه وذلك شـأن اللئام من بني الإنسان، ينسى الإحسان في وقت القوة][1]

ونســـتنتج من هذا أن الدعاء في حال نزول الوباء والمرض الشـــديد **غريزة في النفس**، وأن المشـــركين رغم وثنيتهم كـانوا يلجـأون إلى الله تعالى وحده مخلصـين في الدعاء، ويسـتجيب الله تعالى لهم، إذا كان هذا شـأن المشركين في الشدائد فكيف بالمسلمين؟ كيف يغفل كثير منهم عن هذا السلاح وذاك الدواء ؟

و يجدر بنا في هذا المقام بيان مفهوم الدعاء، وأنواعه، وشروطه..والتداوي به بإيجاز من خلال االمطالب التالية

المطلب الأول:

مفهوم الدعاء

الدعاء لغة: الطلب والنداء والابتهال، والرجاء. يقال:[دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ الْخَيْرِ وَدَعَوْتُ زَيْدًا نَادَيْتُهُ وَطَلَبْتُ إِقْبَالَهُ][2] و(الدُّعَاء) أيضا: مَا يدعى بِهِ الله من القَوْل (ج) أدعية]

(١) «زهرة التفاسير» (٧/ ٣٥٢٧):باختصار كبير.

(٢) المصـــباح المنير في غريب الشـــرح الكبير،: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـــــ)، (١/ ١٩٤). المكتبة العلمية – بيروت.

[1] ويُقَال: [دَعَا الله: رجا مِنْهُ الْخَيْر وَ دعا لفُلَان: طلب الْخَيْر لَهُ، ودعا على فلَان: طلب لَهُ الشَّرّ] [2]

و[الدُّعَاء كالنّداء، إلّا أنّ النّداء قد يقال بيا، أو أيا، ونحو ذلك من غير أن يضمّ إليه الاسم، والدُّعَاء لا يكاد يقال إلّا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان، وقد يستعمل كلّ واحد منهما موضع الآخر.] [3] **والدعاء شرعا**: [سؤال العبد ربه على وجه الابتهال.وقد يطلق على التقديس، والتمجيد، ونحوهما.] (٤)

المطلب الثاني:

أنواع الدعاء :

الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.

النوع الأول: **دعاء العبادة**: وهو طلب الثواب بالأعمال الصالحة، [5] أو كما يقول الشيخ ابن عثيمين:[وهوأن يكون قائما بأمر الله، لأن القائم بأمر الله- كالمصلي، والصائم، والمزكي-يريد بذلك الثواب والنجاة من العقاب، ففعله متضمن للدعاء بلسان الحال،

---

(١) «المعجم الوسيط» (١/ ٢٨٧).

(٢) «المعجم الوسيط» (١/ ٢٨٦).

(٣) «المفردات في غريب القرآن» (ص٣١٥).

(٤)القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، د، سعدي أبو حبيب، (ص١٣١)، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

(٥)انظر: «بدائع الفوائد» (٣/ ٢)

وقد يصحب فعله هذا دعاء بلسان المقال][1] فالقيام بالعبادات طلب بلسان الحال للثواب، ومستلزم لدعاء المسألة. وبعض العبادات تتضمّن الدعاء بلسان المقال مع لسان الحال، كالصلاة. فمن فعل هذه العبادات وغيرها من أنواع العبادات الفعلية، فقد دعا ربه، وطلبه بلسان الحال أن يغفر له. ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]

فهذا دعاء العبادة ويتضمن بلا ريب دعاء السؤال رغبة ورهبة، لأن الله تعالى وقاهم عذاب السموم بالعبادة الخالصة لا بمجرد السؤال والطلب. ومن ذلك أيضا قول فتية الكهف: ﴿ لن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾[3] أي لن نعبد غيره تعالى شأنه. فلفظ الدعاء والدعوة يتناول معنين: دعاء العبادة ودعاء المسألة[4]. دعاء العبادة كما في قوله تعالى: {فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ}[5] وَقوله تَعَالَى: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[6]

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، (٢٦٢/١) دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.

(٢)[الطور: ٢٨]

(٣) [الكهف: ١٤]

(٤) انظر: «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (٥/ ٢١٩)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

(٥) [الشعراء: ٢١٣]

(٦) [المؤمنون: ١١٧]

النوع الثاني: دعاء المسألة :وهو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه[1] والمعبود لا يستحق العبادة إلا إذا كان قادرا على النفع والضرر، ومن ثم يطلب منه النفع، ويطلب منه دفع الضرر، ولهذا أنكر القرآن الكريم على من يدعو من دون الله من لا يملك نفعا ولا ضرا، كقوله تعالى:﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [2] والغالب في معنى الدعاء هو النوع الثاني، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن التميمي:[وأكثر ما يستعمل الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومَن بعدهم من العلماء: في السؤال والطلب، ..وقد قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}[3] .وقال تعالى: {قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً}[4]

وَقَالَ جل شأنه: {وَإِذَا مَسَّ الأِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً}[5] . وَقَالَ: {وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}[6] وَقَالَ: {لا يَسْأَمُ الْأِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ}[7]. وقال: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}[8].

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢)

(٢) [المائدة: ٧٦]

(٣) سورة فاطر آية: ١٣.

(٤)سورة الأنعام آية: ٦٣.

(٥)سورة يونس آية: ١٢

(٦) سورة فصلت آية: ٥١.

(٧) سورة فصلت آية: ٤٩.

(٨) سورة الأنفال آية: ٩.

وفي حديث أنس مرفوعا: " الدعاء مخ العبادة "[1] وفي الحديث الحسن: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة "[2].....وأمثال هذا في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، في الدعاء الذي هو السؤال والطلب][3] وينبه ابن القيم إلى لطيفة مهمة، وهي أن الدعاء كما يأتي بمعنى العبادة تارة وبمعنى الطلب والمسألة تارة أخرى، يأتي كذلك بمجموعهما، لأن دعاء المسألة متضمن دعاء العبادة، فالسائل يخلص سؤاله لله تعالى، ويرغب ويخضع ويتذلل للمدعو، وكذلك دعاء العبادة فيه التعبد طلبا للثواب كما تبين سابقا، يوضح هذا ابن القيم رحمه الله، فيقول :[.. المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله تعالى: {وَإِذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ}[4]. يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت الآية، قيل :أعطيه إذا سألني وقيل: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الدعوات.. رقم (٣٣٧١)، (٥/ ٤٥٦) :وقال•: غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة ،[حكم الألباني] : ضعيف.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الدعوات ،برقم (٣٤٧٩) ؛ والحاكم (١/ ٤٩٣) من حديث أبي هريرة وحسنه الألباني لشواهده. وراجع الصحيحة (٥٩٦) وصحيح الجامع (٢٤٣) .

(٣)«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص١٧٥). للشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

حقيقة ومجاز، بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعا فتأمله، فإنه موضع عظيم النفع قل من يفطن له][1]. والحاصل، أن الدعاء منه ما هو ثناء وعبادة، ومنه ما هو سؤال وطلب. وهو حقيقة فيهما .

المطلب الثالث:

شروط الدعاء

جمع د.سعيد القحطاني أهم شروط الدعاء وكانت على النحو الآتي إجمالا:

الشرط الأول: الإخلاص: وهو تصفية الدعاء، والعمل من كل ما يشوبه، وصرف ذلك كلّه لله وحده...

الشرط الثاني: المتابعة، أي متابعة رسول الله – ﷺ – وسنته، وهي شرط في جميع العبادات.

الشرط الثالث: الثقة بالله تعالى، واليقين بالإجابة:

الشرط الرابع: حضور القلب والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب،

الشرط الخامس: العزمُ والجَزمُ، والجِدُّ في الدعاء:

الشرط السادس: تجنب موانع إجابة الدعاء: مثل

(١) بدائع الفوائد، (٣/ ٣):

التوسع في الحرام: أكلاً، وشرباً، ولبساً، وتغذية – الاستعجال وترك الدعاء – .

– ترك الواجبات التي أوجبها الله تعالى.

– الدعاء بإثم، أو قطيعة رحم.

– ومن الموانع أيضا: الحكمة الربانية، فيُعطى أفضل مما سأل:

عن أبي سعيد – رضي الله عنه أن النبي – ﷺ – قال: ((ما من مسلم يدعو الله بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجَّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها))، قالوا: إذاً نكثِرَ. قال: ((الله أكثر))] [(١)]. فقد يظن الإنسان أنه لم يجب، وقد أجيب بأكثر مما سأل، أو صرف عنه من المصائب والأمراض أفضل مما سأل، أو أخَّره له إلى يوم القيامة[(٢)]. فالدعاء المستجاب له شروطه التي ينبغي الانتباه إليها والأخذ بها .

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رقم ١١١٣٣، (٣/ ١٨)،الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

(٢) لمزيد من الشرح والاطلاع على الأدلة راجع «شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة» (ص١٩–٣٣)، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض. وانظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٠٣) وما بعدها.

المطلب الرابع:

الدعاء برفع الوباء لاينافي الإيمان بالقدر

الدعاء من أقوى الأسباب في رفع الوباء، وقد عقد البخاري في صحيحه بابا بعنوان: بَابُ الدُّعَاءِ بِرَفْعِ الوَبَاءِ وَالوَجَعِ ، وذكر فيه حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ،...»[1] فالحمى كانت وباء بالمدينة، كما ورد في رواية أخرى عن عائشة قَالَتْ: وَقَدِمْنَا المَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ. [2]

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح:[وَقَدِ اسْتَشْكَلَ بَعْضُ النَّاسِ الدُّعَاءَ بِرَفْعِ الْوَبَاءِ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الدُّعَاءَ بِرَفْعِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ حَتْمُ مَقْضِيٍّ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَبَثًا وَأُجِيبَ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي التَّعَبُّدَ بِالدُّعَاءِ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ فِي طُولِ الْعُمْرِ أَوْ رَفْعِ الْمَرَضِ .... فَمَنْ يُنْكِرُ التَّدَاوِي بِالدُّعَاءِ يَلْزَمُهُ أَنْ يُنْكِرَ التَّدَاوِي بِالْعَقَاقِيرِ وَلَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ إِلَّا شُذُوذٌ وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ وَفِي الِالْتِجَاءِ إِلَى الدُّعَاءِ مَزِيدُ فَائِدَةٍ لَيْسَتْ فِي التَّدَاوِي بِغَيْرِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ بَلْ مَنْعُ الدُّعَاءِ مِنْ جِنْسِ تَرْكِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ اتِّكَالًا عَلَى مَا قُدِّرَ فَيَلْزَمُ تَرْكُ الْعَمَلِ جُمْلَةً

(١) « صحيح البخاري، ك: الدعوات، ب: الدُّعَاءِ بِرَفْعِ الوَبَاءِ وَالوَجَعِ.(٨/٨٠).

(٢) «صحيح البخاري، ك: فضائل المدينة، ب:كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، (٢٣/ ٣) :

وَرَدُّ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ كَرَدِّ السَّهْمِ بِالتُّرْسِ وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِيمَانِ بِالْقَدْرِ أَنْ لَا يَتَتَرَّسَ مِنْ رَمْيِ السَّهْمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ] (١).

وجاء في شرح صحيح البخارى لابن بطال:[فيه من الفقه جواز الدعاء إلى الله تعالى فى رفع الوباء والحمى والرغبة إليه فى الصحة والعافية، وهذا رد على الصوفية فى قولهم: إن الولى لا تتم له بالولاية إلا إذا رضى بجميع مانزل به من البلاء ولا يدع الله فى كشفه،] (٢). **وهو رد على قول المعتزلة :[إِنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي الدُّعَاءِ مَعَ سَبْقِ الْقَدَرِ وَمَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ وَلَا يُسْتَجَابُ مِنْهُ، إِلَّا مَا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ]** (٣). **فالدعاء من أقوى الأسباب في دفع الوباء والأمراض بل وكل مكروه، وقد يتخلف أثره –كما يقول ابن القيم:[إِمَّا لِضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ – بِأَنْ يَكُونَ دُعَاءً لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُدْوَانِ – وَإِمَّا لِضَعْفِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ إِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِيَّتِهِ عَلَيْهِ وَقْتَ الدُّعَاءِ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوْسِ الرِّخْوِ جِدًّا، فَإِنَّ السَّهْمَ يَخْرُجُ مِنْهُ خُرُوجًا ضَعِيفًا، وَإِمَّا لِحُصُولِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ: مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَرَيْنِ الذُّنُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ، وَاسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَاللَّهْوِ، وَغَلَبَتِهَا عَلَيْهَا.]** (٤).

---

(١) فتح الباري لابن حجر» (١٠/ ١٣٣) :باختصار يسير.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال» (٩/ ٣٩٣): تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ .

(٣) شرح النووي على مسلم» (٩/ ١٥٠).

(٤) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء» (ص٩). محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة – المغرب، ط، الأولى١٩٩٧م.

المطلب الخامس:

التداوي بالدعاء عند خاتم الأنبياء

من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آتاه الله بسطة في العلم والجسم ، استطاع بقوته الجسدية سهر الليالي في التهجد، ومكابدة النهار في الكدح والتربية والجهاد، مع التخفف في الطعام والشراب، مما أرهق جسده الشريف، فكانت تلم به المتاعب والأمراض العابرة، وإذا كان للملوك والرؤساء أطباء خاصون بهم، فإن اللجوء إلى الله تعالى وذكره والاستعاذة به من الشرور المادية والمعنوية كأنها هي الطبيب الخاص له صلى الله عليه وسلم.

وأذكر طرفا من المرويات التي تبين المكانة العالية للدعاء عند النبي ﷺ. لدفع المرض قبل وقوعه بالتعوذ أو الرقية، وكذلك بعد حصول المرض.

١-أخرج البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة :] أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَنْفِثُ[1] على نَفْسِهِ في مَرَضِهِ الذي قُبِضَ فيه بالمُعَوِّذاتِ، فَلَمّا ثَقُلَ كُنْتُ أنا أنْفِثُ عليه بهِنَّ، فأمْسَحُ بيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِها فَسَأَلْتُ ابْنَ شِهابٍ: كيفَ كانَ يَنْفِثُ؟ قالَ: يَنْفِثُ على يَدَيْهِ ثُمَّ يَمْسَحُ بهِما وجْهَهُ.] [2]

٢-وأخرج البزار في مسنده عَن أبي هُرَيرة، قال جاءت امرأة بها لمم إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رَسولَ اللهِ ادع الله لي. فقال: إن شئت دعوت الله

(١) والنفث نفخ لطيف بلا ريق فِيهِ، انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١٨٢).
(٢)«صحيح البخاري»، ك: الطب، ب: في المرأة ترقي الرجل، (٧/ ١٣٤):

لك فشفاك، وَإن شئت صبرت، ولَا حساب عليك قالت: بلى أصبر، ولَا حساب علي.] (١)

من الفوائد التي استنبطها الحافظ ابن حجر من هذا الحديث ما عبر عنه بقوله: [وَفِيهِ أَنَّ عِلَاجَ الْأَمْرَاضِ كُلِّهَا بِالدُّعَاءِ وَالِالْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ أَنْجَعُ وَأَنْفَعُ مِنَ الْعِلَاجِ بِالْعَقَاقِيرِ وَأَنَّ تَأْثِيرَ ذَلِكَ وَانْفِعَالَ الْبَدَنِ عَنْهُ أَعْظَمُ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَدْوِيَةِ الْبَدَنِيَّةِ وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْجَعُ بِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا مِنْ جِهَةِ الْعَلِيلِ وَهُوَ صِدْقُ الْقَصْدِ وَالْآخَرُ مِنْ جِهَةِ الْمُدَاوِي وَهُوَ قُوَّةُ تَوَجُّهِهِ وَقُوَّةُ قلبه بالتقوى والتوكل وَالله أعلم] (٢)

٣-وعند مسلم [عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»] (٣)

٤-وفي قصة طويلة عند البخاري [عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ

---

(١)«مسند البزار = البحر الزخار» رقم (٧٩٨٠)، (١٤/ ٣٢٣) ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).؛ وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢٦٧/٦) الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ١٦/٦ • إسناد حسن .

(٢)«فتح الباري لابن حجر» (١٠/ ١١٥):

(٣) «صحيح مسلم»، ك: السلام، ب: استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، (٤/ ١٧٢٨).

مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ،(١) فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ(٢)، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ»، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا» فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ] (٣)

---

(١)(نُشِطَ) أُقِيمَ بِسُرْعَةٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ رَجُلٌ نَشِيطٌ ..(مِنْ عِقَالٍ) هُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ ذِرَاعُ الْبَهِيمَةِ ،أي: فك من حبل كان مشـــدودا به انظر: «فتح الباري لابن حجر» (٤/ ٤٥٦):

(٢) وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ بِحَرَكَاتٍ أَيْ عِلَّةٌ: المصدر السابق.

(٣) صحيح البخاري، ك: الإجارة، ب: ما يعطى في الرقية، (٣/ ٩٢):

وفي سنن أبي داوود [عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ "][1]

بعد هذا العرض اليسير لبعض الأدعية التي تؤكد مكانة الدعاء في مواجهة الأمراض والأوبئة، وتكشف المنزلة الكبيرة، والأثر الطيب في اللجوء إلى الله من باب الدعاء. أود أن أسجل بعض الفوائد التالية:

١- **الدعاء من الأدوية الإلهية** والأسباب التي وضعها الله لعباده لنيل الشفاء.

٢- **الدعاء والرقى الشرعية** تنفع قبل حصول المرض بدفعه، وتنفع كذلك بعد حصوله ، بخلاف العقاقير المادية التي لا تنفع إلا بعد حصول المرض.

٣- **إذا حصل المرض بعد الدعاء، فإن منافع الدعاء لا تنقطع** ، فكما يقول ابن القيم لم يقع المرض وقوعا مضرا وإن كان مؤذيا، [فالتعوُّذات والأذكار إمَّا أن تمنع وقوعَ هذه الأسباب، وإمَّا أن تَحُول بينها وبين كمال تأثيرها بحسبِ كمال التعوُّذ وقوَّته وضعفه، فالرُّقى والعُوَذ تسُتعمل لحفظ الصِّحة ولإزالة المرض"][2].

---

(١)«سنن أبي داود» ك: الجنائز، ب: الدعاء للمريض..(٣/ ١٨٧)، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ .

(٢) زاد المعاد، ١٨٢/٤

قال النووي –رحمه الله تعالى– في شـــرح " وما أدراك أنها رقية " : [فِيهِ التَّصْـرِيحُ بِأَنَّهَا رُقْيَةٌ فَيُسْـتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ بِهَا عَلَى اللَّدِيغِ وَالْمَرِيضِ وَسَـائِرِ أَصْحَابِ الْأَسْقَامِ] (١) الأسقام – أي الأمراض و البلايا والآفات .

في قصة اللديغ الذي رواه البخاري، يؤخذ منها ما يلي:

أ-جواز الرقية بكتاب الله – كما يقول الحافظ في الفتح– ويلتحق به ما كان بالذكر، والدعاء المأثور وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور. (٢)

ب–الرقية إذا اســـتجيبت فإنها لا تســـتغرق وقتا كما في الأدوية والعقاقير، فإن اللديغ من العقرب شفاه الله ونشط على الفور وذهب الألم.

ت–القرآن فيه شفاء للقلوب من الشهوات والشبهات وشفاء للأبدان كذلك من بعض الآفات [فَقَدْ تَضَـمَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ حُصُولَ شِفَاءِ هَذَا اللَّدِيغِ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ عَلَيْهِ، فَأَغْنَتْهُ عَنِ الدَّوَاءِ، وَرُبَّمَا بَلَغَتْ مِنْ شِـــفَائِهِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ الدَّوَاءُ .هَذَا مَعَ كَوْنِ الْمَحَلِّ غَيْرَ قَابِلٍ، إِمَّا لِكَوْنِ هَؤُلَاءِ الْحَيِّ غَيْرَ مُسْلِمِينَ، أَوْ أَهْلَ بُخْلٍ وَلُؤْمٍ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ قَابِلًا] (٣)

وقال ابن القيم رحمه الله عن تجربة شـخصـية تكررت معه [وَلَقَدْ مَرَّ بِي وَقْتٌ بِمَكَّةَ سَـــقِمْتُ فِيهِ وَفَقَدْتُ الطَّبِيبَ وَالدَّوَاءَ، فَكُنْتُ أَتَعَالَجُ بِهَا، آخُذُ شَرْبَةً مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَأَقْرَؤُهَا –أي الفاتحة– عَلَيْهَا مِرَارًا، ثُمَّ أَشْرَبُهُ، فَوَجَدْتُ

(١)«شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١٨٨):

(٢)««فتح الباري لابن حجر» (٤/ ٤٥٧):

(٣) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١/ ٧٩):

بِذَلِكَ الْبُرْءَ التَّامَّ، ثُمَّ صِـــرْتُ أَعْتَمِدُ ذَلِكَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْجَاعِ، فَأَنْتَفِعُ بِهَا غَايَةَ الانتفاع.] (١)

ث-الأثر الطيب للدعاء والرقية يحصل ممن طهرت قلوبهم من الضغائن والأحقاد، وعمرت بالإيمان والخشية والمحبة لله ورسوله والمؤمنين. يقول الشـــيخ محمد الغزالي معلقا على هذه القصـــة:[والغريب أن الذي داوى المريض بالفاتحة، ينفث بها على المصـــاب، هو الذي توقف في الانتفاع عن المكافأة التي اشترطها، وشك في جواز الأكل منها، وهو تصرف يدل على أن الراقي كان يجمع بين صـــدق الإيمان وشـــدة الورع، وهنا موطن العبرة، فليس كل قارئ يشفي، ولا قراءة تداوي، ولكن لله عبادا إذا استنزلوا الفضل نزل] (٢)

٤- تقديم الثناء على الله تعالى قبل الدعاء وإظهار العبودية.

وهذا المعنى واضح لمن تدبر دعاء الأنبياء عليهم السلام، جاء في حاشية تفسير ابن كثير :

[فالدعاء **الذي يتقدمه الذكر والثناء** أقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك

إخبار العبد بحاله ومســـكنته وافتقاره واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل. فإنه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله،

---

(١)«الطب النبوي لابن القيم» (ص١٣٢): (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت.

(٢) فن الذكر والدعاء للشيخ محمد الغزالي، ص٧٦،٧٧ باختصار.

وعرض، بل صرح، بشدة حالته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه وأوصاف المسؤول مقتضى منه، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعا وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في الشاهد، ولله المثل الأعلى، أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره، وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب إلى قضاء حاجته من أن يقول له ابتداء: أعطني كذا وكذا، فإذا عرف هذا فتأمل قول موسى، عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [1]وقول ذي النون في دعائه: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [2]وقول أبينا آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [3]وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه؛ قال يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"[4] فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه بفضله

(١) القصص: ٢٤

(٢) الأنبياء:٨٧

(٣) البقرة:٢٣

(٤)«صحيح البخاري ، ك: الأذان ب: الدعاء قبل السلام، (١/ ١٦٦).

وجوده، وأنه المتفرد بغفران الذنوب ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معا فهكذا آداب الدعاء والعبودية.] [1]

لقد تبين بهذا أن الدعاء من أنفع الوسائل الروحية في مواجهة الوباء والبلاء، خاصة في زمن الوباء. فالمسلم يدعو بعدم وقوعه، وبرفع الوباء إذا نزل لما ثبت في رواية البخاري وغيره عن أم المؤمنين عائشة أن النبي ﷺ دعا برفع الوباء عن المدينة قائلا: [«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ.] [2]

فهذا الدعاء صريح في ضرورة اللجوء إلى الله تعالى وطلب رفع الوباء إذا نزل، وقد صرح ابن بطال في شرح البخاري بما يستفاد من هذا الحديث قائلا:

[فلما رأى رسول الله ﷺ ما نزل بأصحابه من الحُمَّى والوباء خشى كراهية البلد، لما فى النفوس من استثقال ما تكرهه، فدعا الله فى رفع الوباء عنهم، وأن يحبب إليهم المدينة كحبهم مكة وأشد؛..ثم تابع ابن بطال فوائد الحديث قائلا:

وأما قوله: (وصححها) ففيه من الفقه أن الله أباح للمؤمن أن يسأل ربه صحة جسمه وذهاب الآفات عنه إذا نزلت به، كسؤاله إياه فى الرزق والنصر، وليس فى دعاء المؤمن ورغبته فى ذلك إلى الله لوم ولا قدح فى

---

(١)«تفسير ابن كثير ت سلامة» (٦/ ٤٣٣).

(٢) صحيح البخاري، ك: فضائل المدينة، ب: بَابُ كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُعْرَى المَدِينَةُ (٣/ ٢٣).

دينه،...وقد كان رسول الله ﷺ إذا نزل به شيء يكثر عليه الدعاء والرجاء فى كشفه] [1]

فصرح هنا بمنهج رسول الله ﷺ عند الوباء وهو كثرة الدعاء والالتجاء إلى الله راجيا كشــفه، ثم رد على من يظن أن ذلك يتنافى مع قوة الإيمان، أو الرضا بالقدر.

وهكذا يؤصل الإسلام في نفسية المسلم والمريض خاصة اللجوء إلى تعالى بالدعاء،

وهذا لا يعني إغفال أو إهمال باقي الأسباب التي وضعها الله لعباده، من النظافة والأخذ بالأساليب الطبية المجربة، واتباع إرشادات الخبراء وأهل الذكر، لكن الدعاء هو من أعلاها شأنا، وأعظمها تأثيرا لما فيه من تضرع وانكسار وتذلل بين يدي الله تعالى.

وبهذا ينافس المسلم غيره في الأخذ بالأسباب، ويمتاز عليه بالوسائل الإيمانية الروحية، وأعلاها الدعاء تضرعا وخيفة لرب البرية.

(١) «شرح صحيح البخارى لابن بطال» (٤/ ٥٥٨،٥٥٩) باختصار وتصرف يسير.

المبحث الرابع: الصبر والاحتساب

من الأساليب والوسائل التي يحبها الله من عباده إذا أصابهم الضر والوباء، عبادة الصبر والاحتمال أثناء خوضهم عباب الوباء وما يكتنفه من شدائد صحية واقتصادية واجتماعية، فالصبر حاجة ضرورية لجميع المجتمع بكل شرائحه، فجائحة كورونا مثلا: تتطلب صبرا من الفرق الطبية التي تشتبك مع الفيروس، وينتج من تلك المواجهة ضحايا من خيرة الأطباء ومعاونيهم، وهذا قد يدفع الباقين للإحجام من التعامل مع حاملي الوباء، ولكن بزاد الصبر يجاهدون.

والإجراءات الاحترازية التي تقتضي من الناس الحبس في البيوت، لا تنجح إلا بالصبر والتحمل، ورجال الأعمال الذين تنهار ثرواتهم يحتاجون إلى الصبر وعدم العجلة في جمع العمال والموظفين للعمل لإيقاف نزيف الخسائر وحماية أموالهم..والسياسيون كذلك، لكي لا يقدموا الأرباح على الأرواح يحتاجون إلى الصبر، والتجار والصيادلة لكي لا يستغلوا حاجة الناس إلى سلع معينة ، فهم يحتاجون أيضا إلى هذا الخلق العظيم الذي يحبس النفس عما لا يحسن عقلا وشرعا. فما حقيقة الصبر، وما أنواعه، وما مراتب الناس حال المصيبة، وما أهم شروط الصبر؟

وفي المطالب التالية إجابة مختصرة وافية إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول:

مفهوم الصبر

أ- الصبر في اللغة:

يقول ابن فارس في «مقاييس اللغة»:[(صَبَرَ) الصَّادُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، الْأَوَّلُ الْحَبْسُ، وَالثَّانِي أَعَالِي الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ جِنْسٌ مِنَ الْحِجَارَةِ][1]وجاء في تاج العروس: [وأَصلُ الصَّبْرِ: الحَبْسُ: وكلُّ منْ حَبَسَ شَيْئاً فقد صَبَرَه....(والصَّبْرُ: نَقِيضُ الجَزَعِ) . وَقَالَ الجَوْهَرِيّ: الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عندَ الجَزَعِ، وَقد صَبَرَ فلانٌ عِنْد المُصِيبَةِ يَصْبِرُ صَبْراً، وصَبَرْتُه أَنا: حَبَسْتُه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم}[2] ، أَي احْبِسْ نفْسَكَ مَعَهم.] [3].وَقتل الصَّبْر: أَن يحبس الرجل حَتَّى يقتل[4]. فالرجل أمسك هنا وحبس للموت. فأصل الكلمة مأخوذ من المنع والحبس وهو أحد وأظهر معانيه.

---

(١)«مقاييس اللغة» (٣/ ٣٢٩): مصدر سابق.

(٢) (الْكَهْف: ٢٨)

(٣) «تاج العروس من جواهر القاموس » (١٢/ ٢٧١): بتصرف ، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(٤) «جمهرة اللغة» (١/ ٣١٢)، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

ب- الصبر في الشرع:

- **يقول الطبري:[وأصل الصبر: منع النفس محابَّها، وكفها عن هواها]** (١)

- **وقال الراغب الأصفهاني: مبينا تعدد أسمائه وتنوع مجالاته:[والصَّبْرُ: حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، فَالصَّبْرُ لفظ عامّ، وربّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النّفس لمصيبة سمّي صبرا لا غير، ويُضَادُّهُ الجزع، وإن كان في محاربة سمّي شجاعة، ويضادّه الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمّي رحب الصّدر، ويضادّه الضّجر، وإن كان في إمساك الكلام سمّي كتمانا، ..، وقد سمّى الله تعالى كلّ ذلك صبرا، ونبّه عليه بقوله: وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ]. (٢)**

- **وعرفه ابن القيم بقوله[«الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ. وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى. وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ.- كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه-] (٣)**

لكن هذا التعريف الذي ذكره ابن القيم يصلح لنوع من أنواع الصبر، وهو الصبر على الابتلاءات والمحن.

---

(١)«تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث» (١/ ١١):

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٤٧٤):

(٣) مدارج السالكين، (٢/ ١٥٥):وانظر: «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص٥):

- وقِيلَ: الصَّبْرُ: الْوُقُوفُ مَعَ الْبَلَاءِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ. [1] وَقَالَ الْخَوَّاصُ: هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. [2]

أما حقيقته كما يقول ابن القيم:[فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها] [3]

فالصبر خلق فاضل وقوة في النفس تمكن صاحبها من فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على الأقدار والبليات.

المطلب الثاني

أنواع الصبر

عامة أهل العلم يقسمون الصبر إلى ثلاثة أنواع:

يقول صاحب المدارج: [وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ. وَصَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ. وَصَبْرٌ عَلَى امْتِحَانِ اللَّهِ. فَالْأَوَّلَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَسْبِ. وَالثَّالِثُ: صَبْرٌ عَلَى مَا لَا كَسْبَ لِلْعَبْدِ فِيهِ.] [4] ونبين ذلك في الفروع التالية.

---

(١) مدارج السالكين ... (٢/ ١٥٧):

(٢) المصدر السابق.

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (ص١٦):

(٤) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٢/ ١٥٥):وانظر" عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص٤٨): وإحياء علوم الدين

الفرع الأول: الصبر على الطاعات:

القيام بالعبودية لله تعالى وإقامة أوامره تحتاج إلى صبر ومجاهدة للنفس والشيطان الباطني والظاهري،

قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٢) ولعلك تلاحظ استخدام القرآن الكريم لصيغة الافتعال(اصطبر) بدل (اصبر) لأن الافتعال يدل على المبالغة في الفعل، فالطريق إلى طاعة الله مليئة بالمعوقات من داخل النفس وخارجها(٣).

يقول ابن تيمية رحمه الله:[فإن العبد لا يكاد يفعل المأمورَ به إلاّ بعد صبرٍ ومصابرةٍ، ومجاهدةٍ لعدوّه الظاهر والباطن، فبحسب هذا الصبر يكون أداؤُه للمأمورات وفِعلُه للمستحبات.] (٤)ويقول الإمام الغزالي :[فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية](٥)

---

(١) مريم: ٦٥

(٢) طه: ١٣٢

(٣) انظر: الصبر في القرآن الكريم ص٣٩، د.يوسف عبدالله ،مكتبة وهبة، ط، ثالثة،١٩٨٩م.

(٤)«جامع المسائل لابن تيمية ط عالم الفوائد – المجموعة الأولى» (ص١٦٦):

(٥) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٧٠):

كما أن هناك من الطاعات ما هو شـــاق على النفس بطبيعته كالصـــوم والجهاد ونحوهما.

وهذا النوع من الصـــبر يتحقق كما يقول صـــاحب المنازل:[بالمحافظة عَلَيْهَا دواما وبرعايتها إخلاصا وبتحسينها علما] (١) ولصاحب الإحياء مزيد إيضاح فلينظر هناك(٢).

الفرع الثاني:

الصبر عن المعاصي

هناك دواعي غريزية في النفس الإنسانية تحتاج إلى صبر تلجم به، حتى لا تتجاوز وظائفها النافعة في الحياة، فتلج في معصـــية الله، يقول الامام الغزالي: عن الصبر عن المعاصي:

[فما أحوج العبد إلى الصبر عنها وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْوَاعَ الْمَعَاصِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾(٣)

(١) منازل الســائرين، (ص٥٠)، أبو إســماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصــاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) وللمزيد انظر «إحياء علوم الدين» (٤/ ٧٠):

(٣) النحل: من الآية: ٩٠

وقال ﷺ: « المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه »[1]والمعاصي مقتضى باعث الهوى، وأشد أنواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة][2]

يقول ابن تيمية رحمه الله:[النوع الثاني: صبرٌ عن المنهي حتى لا يفعلَه، فإنّ النفسَ ودواعيها وتزيين الشيطان وقُرَناء السوء تأمرُه بالمعصية، وتُجَزِّئُه عليها، فبحسب قوة الصبر يكون تركُه لها. قال بعض السلف[3] : أعمالُ البِرِّ يَفعلُها البَرُّ والفاجر، ولا يَقدِرُ على ترك المعاصي إلاّ صدِّيق.][4]

ويندرج تحت هذا النوع الصبر على السراء وملاذ الدنيا، فلا يطلق لنفسه العنان في اللهث وراء شهواتها من النساء والأموال والمناصب والملاذ، ولهذا قال سهل:-كما في الإحياء للغزالي-[الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر][5]

---

(١) العراقي (ت ٨٠٦)، تخريج الإحياء ٨٧/٤ • [روي] بإسنادين جيدين • أخرجه مطولاً الترمذي (١٦٢١)، وأحمد (٢٤٠١٣) وفي «مسند أحمد» حديث رقم (٦٩٢٥) بلفظ: والمهاجر مَن هجر السُّوء فاجْتنبه (٦/ ٣٩٨ تحقيق: أحمد شاكر).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٧٠):

(٣)هو سهل التستري، كما روى عنه أبو نعيم في "الحلية" (١٠/ ٢١١).

(٤)«جامع المسائل لابن تيمية ط عالم الفوائد – المجموعة الأولى» (ص١٦٦):

(٥) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٩): وانظر: قوت القلوب (٣٣١/١).

الفرع الثالث:

الصبر على المصائب والأوبئة وفضائله

المصـائب -كما يقول ابن تيمية-[نوعان: **نوع** لا اختيارَ للخلقِ [فيه]، كالأمراضِ وغيرِها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها، لأن العبْدَ يشهدُ فيها قضاءَ اللهِ وقدرَه، وأنه لا مدخلَ للناس فيها، فيصبر إمّا اضطرارًا وإمّا اختيارًا، فإن فتحَ الله على قلبه بابَ الفكرةِ في فوائدِها، وما في حَشوِها من النِّعَم والألطاف، انتقلَ من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، فانقلبت حينئذٍ في حقه نعمةً، ..

النوع الثاني: ما يحصل له بفعل الناس في ماله أو عِرضِه أو نفسِه، فهذا النوع يَصعُب الصبرُ عليه جدًّا، لأنّ النفس تستشعِرُ المُؤذيَ لها، وهي تكره الغلبة، فتَطلبُ الانتقام، فلا يَصبِر على هذا النوع إلاّ الأنبياء والصدّيقون.

وكان نبينا (ﷺ) إذا أُوذِي يقول: "يَرحمُ اللهُ موسى، لقد أُوذِي بأكثر من هذا فصَبر" [1]. وأَخبَر عن نبي من الأنبياء أنه ضربَه قومُه، فجعلَ يقول: "اللهم اغفِرْ لقومي، فإنهم لا يعلمون" [2] وقد رُوي عنه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه جرى له مِثلُ هذا مع قومه، فجعل يقول مِثلَ ذلك [3].

---

(١) أخرجه البخاري ، ك: الدعوات، ب: قول الله تعالى: وصل عليهم، (٨/٧٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: حَدِيثِ الغَارِ (٤/ ١٧٦).

(٣) أخرجه الطبراني عن سهل بن سعد، كما في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) رقم الحديث)

فجمع في هذا ثلاثة أمور: العفو عنهم، والاستغفار لهم، والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون.][1]

والصبر على مصيبة المرض الناشئ من الوباء هو مقصودنا في هذه الدراسة، ونلقي بعض الضوء على فضل الصبر عليه في القرآن الكريم والسنة .

أولا: من فضل الصبر على المرض في القرآن الكريم

قال تعالى في صبر المصيبة: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[2]

جاء في تفسير الجلالين:[وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْف} لِلْعَدُوِّ {وَالْجُوع} الْقَحْط {وَنَقْص مِنْ الْأَمْوَال} بِالْهَلَاكِ {وَالْأَنْفُس} بِالْقَتْلِ وَالْمَوْت وَالْأَمْرَاض {وَالثَّمَرَات} بِالْحَوَائِجِ أَيْ لَنَخْتَبِرَنَّكُم فَنَنْظُر أَتَصْبِرُونَ أَمْ لَا {وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ} عَلَى الْبَلَاء بِالْجَنَّةِ هُمُ {الَّذِينَ إذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَة} بَلَاء {قَالُوا إنَّا لِلَّهِ} مَلِكًا وَعَبِيدًا يَفْعَل بِنَا مَا يَشَاء {وَإِنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ} فِي الْآخِرَة فَيُجَازِينَا] [3]

١٠٠٩٧)، (٦/ ١١٧). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤ م.

(١) جامع المسائل لابن تيمية ط عالم الفوائد – المجموعة الأولى»١٦٦،١٦٧):

(٢) البقرة: ١٥٥،١٥٦

(٣) «تفسير الجلالين» (ص٣٢): المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

ومن النماذج القرآنية المرموقة في الصبر على المرض وفقدان الأهل الذي يؤلم النفس كذلك، نبي الله أيوب- عليه السلام، حيث مدح الله تعالى نبيه الصابر فقال:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّاب ﴾[1] وقد استنبط أبو طالب المكي ثلاثة عشر وجها للثناء على نبي الله أيوب في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله: [أول ذلك قوله عزّ وجلّ في أول مدحه: (واذْكُرْ) [2]- فهذه كلمة مباهاة باهى بأيوب عند رسوله المصطفى عليه السلام وشرفه وفضله بقوله تعالى: (واذْكُرْ) يا محمد فأمره بذكره والاقتداء به .. ثم قال تعالى: (عَبْدنا) فأضافه إليه عزّ وجلّ إضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام الملك فيقول عبداً لنا .. ثم قال: (إِذْ نادى رَبَّهُ) فأفرده بنفسه لنفسه وانفرد له في الخطاب بوصفه وقال: (مَسَّنِي الْضُّرُّ وأَنْتَ أَرْحَمْ الْرَّاحِمين) [3]

فوصفه بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة، وظهر له بوصفه الرحمة فاستراح إليه به، فناداه فشكا إليه واستغاث به .. وهذا خطاب المشاهدة ونظر المواجهة، ثم وصفه بالاستجابة له وأهله لكشف الضرّ عنه، وجعل كلامه سبباً لتنفيذ قدرته .. ومفتاحاً لفتح إجابته، ..

---

(١) ص: ٤٤

(٢) ص: من الآية:٤١

(٣) الأنبياء: ٨٣

ثم قال تعالى بعد ذلك كلّه (رَحْمَةً مِنَّا) [1]فذكر نفسه ووصفه عند عبده تشريفاً له وتعظيماً، ثم قال عزّ وجلّ: (وَذِكْرى لأُولي الألْبابِ) [2]فجعله إماماً للعقلاء وقدوة لأهل الصبر والبلاء وتذكرة وسلوة من الكروب للأصفياء، ثم قال تعالى: (إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً) [3] فذكر نفسه سبحانه وتعالى ذكراً ثانياً لعبده ووصل اسمه باسمه حباً له وقرباً منه،...، ثم قال صابراً فوصفه بالصبر فأظهر مكانه في القوة وخلقه بخلقه، ثم قال تعالى في آخر أوصافه: (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [4]

وهذا التذييل للآية يحمل تشريفا فوق تشريف، فقد أثبت له فضيلة الصبر ، وشرفه بمقام العبودية لله، بل مدح عبوديته بقوله (نعم العبد)، ثم وصفه بأنه كثير الرجوع إلى ربه. فما أجمله من نبي صابر، وما أكرمه من رب رحيم. والبلاء مباين للطبع نافرة منه النفس يحتاج إلى حمل عليه ومشقة فيه، وما كرهته النفس فهو خير وأفضل ولا سبيل إليه إلا بسكينة من الله تعالى وتصبر عليه بقوة به عزّ وجلّ وعناية منه: (وَاصْبِرْ وما صَبْرُكَ إِلاّ بالله) [5]،][6]

---

(١) ص: ٤٣

(٢) ص: ٤٣

(٣) ص: ٤٤

(٤) ص: ٤٤

(٥) النحل: ١٢٧ .

(٦) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ) ،(١/

ثانيا: فضل الصبر على وباء الطاعون في السنة

أخرج البخاري بسنده عن أم المؤمنين [عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلاَّ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ»](١) **وَيُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ حُصُولَ أَجْرِ الشَّهَادَةِ لِمَنْ يَمُوتُ بِالطَّاعُونِ، مقيد بثلاثة شروط: أولا: المكث بالمكان صابرا غير منزعج. ولا قلق بل مسلما لله راضيا بقضائه.**

ثانيا : المصاب بالطاعون لا يخرج فرارا منه .

ثالثا: أن يوقن أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له. يقول الإمام العيني في عمدة القاري: [من اتصف بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَة وَوَقع بِهِ الطَّاعُون ثمَّ لم يمت مِنْهُ أَنه يحصل لَهُ مثل أجر الشَّهِيد، وَإِذا مَاتَ بالطاعون يحصل لَهُ أجر الشَّهِيد.] (٢) **وجَاءَ أيضا عند أحمد في مسنده ما يدل على استواء شهيد الطاعون بشهيد المعركة، فَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ رَفْعَهُ «يَأْتِي الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوَفُّونَ بِالطَّاعُونِ، فَيَقُولُ أَصْحَابُ الطَّاعُونِ: نَحْنُ الشُّهَدَاءُ، فَيُقَالُ: انْظُرُوا فَإِنْ كَانَتْ جِرَاحُهُمْ كَجِرَاحِ الشُّهَدَاءِ**

٣٣٨،٣٣٩) بتصرف واختصار:)المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م

(١) «صحيح البخاري»، ك: الطب، ب:أجر الصابر في الطاعون، (٧/ ١٣١).

(٢)عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٢٦١/٢١) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد.. الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، وانظر: فتح الباري (١٩٣/١٩-١٩٤).

تَسِـــيلُ دَمًا وَرِيحُهَا كَرِيحِ الْمِسْـــكِ فَهُمْ شُـــهَدَاءُ، فَيَجِدُونَهُمْ كَذَلِك] [1]. **ولعل تفضـل الله تعالى على المطعون بأجر الشـهيد بسـبب شـدته وكثرة ألمه،والمراد بشـــهادة الميت بالطاعون كما يقول العلماء، أنه يكون له ثواب الشـهيد في الآخرة، وأما في الدنيا فيغسـل ويصـلى عليه.** [2]. **قَالَ الْقَاضِـي الْبَيْضَـاوِيُّ: [مَنْ مَاتَ بِالطَّاعُونِ، أَوْ بِوَجَعِ الْبَطْنِ مُلْحَقٌ بِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِمُشَارَكَتِهِ إِيَّاهُ فِي بَعْضِ مَا يَنَالُهُ مِنَ الْكَرَامَةِ بِسَبَبِ مَا كَابَدَهُ، لاَ فِي جُمْلَةِ الأَحْكَامِ وَالْفَضَائِلِ]** [3].

وجدير بالذكر، أن البلاء بالمرض، تنفر منه النفس، و هو مباين للطبع ، وهذا يحتاج إلى حمل النفس على تحمل مشقة البلاء، ومقاومة النفور من قضاء الله وقدره.

والناس يتفاوتون في الصـبر حسـب إيمانهم وتربيتهم، فمنهم من يصـبر على مشقات الطاعة، ولا صبر له إذا دعاه الهوى إلى ما حرم الله، ومنهم من يصـبر على ما سـبق ولا صـبر له على مر القضـاء، فقد ترى المرء عابدا، ولكنه إذا وقعت عليه مصيبة، أو حل به مرض شديد، فسرعان ما يجزع ولا يتحمل، بل ينكسـر ويتضـعضـع، وقد ينقلب على وجهه، كالذي يعبد الله على حرف. والصـــابر حقا، هو من كان مطيعا لله في أوامره،

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (١٧٦٥١)، (٤ / ١٨٥)، وحســـنه ابن حجر في فتح الباري (١٠ / ١٩٤).

(٢)انظر: شرح النووي على مسلم (٦٣/١٣)

(٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢١/ ٢٦١):

مجتنبا لما نهى الله عنه، صابرا على قضاء الله وقدره فيه احتسابا لله تعالى، بلا تسخط ولا جزع، بل يرضى، أو يصبر إن لم يقدر على الرضا.

فهناك درجتان للمؤمن بالقضاء والقدر في المصيبة.كما يرى الحافظ ابن رجب الحنبلي في كلام له نفيس حيث يقول: [فَهَاتَانِ دَرَجَتَانِ لِلْمُؤْمِنِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فِي الْمَصَائِبِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ، وَهِيَ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ رَفِيعَةٌ جِدًّا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}[1] قَالَ عَلْقَمَةُ: هِيَ الْمُصِيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيُسَلِّمُ لَهَا وَيَرْضَى...«وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: " أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ "[2].

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى قَضَاءً أَحَبَّ أَنْ يُرْضَى بِهِ، .. وَأَهْلُ الرِّضَا تَارَةً يُلَاحِظُونَ حِكْمَةَ الْمُبْتَلِي وَخَيْرَتَهُ لِعَبْدِهِ فِي الْبَلَاءِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُتَّهَمٍ فِي قَضَائِهِ، وَتَارَةً يُلَاحِظُونَ ثَوَابَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَيُنْسِيهِمْ أَلَمَ الْمَقْضِيِّ بِهِ، وَتَارَةً يُلَاحِظُونَ عَظَمَةَ الْمُبْتَلِي وَجَلَالَهُ وَكَمَالَهُ، فَيَسْتَغْرِقُونَ فِي مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَشْعُرُونَ بِالْأَلَمِ، وَهَذَا يَصِلُ إِلَيْهِ خَوَاصُّ أَهْلِ

(١) [التغابن: ١١]

(٢) «التوحيد لابن خزيمة» (١/ ٣٤): أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد – السعودية – الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ؛ وانظر: «المعجم الأوسط» (٦/ ١٦٥):

الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، حَتَّى رُبَّمَا تَلَذَّذُوا بِمَا أَصَابَهُمْ لِمُلَاحَظَتِهِمْ صُدُورَهُ عَنْ حَبِيبِهِمْ،

وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْبَلَاءِ، وَهَذِهِ لِمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَالرِّضَا فَضْلٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ،..وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتْمٌ، وَفِي الصَّبْرِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِهِ، وَوَعَدَ عَلَيْهِ جَزِيلَ الْأَجْرِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**} [1]قَالَ الْحَسَنُ: الرِّضَا عَزِيزٌ، وَلَكِنَّ الصَّبْرَ مُعَوَّلُ الْمُؤْمِنِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ: أَنَّ الصَّبْرَ كَفُّ النَّفْسِ وَحَبْسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ مَعَ وُجُودِ الْأَلَمِ، وَتَمَنِّي زَوَالِ ذَلِكَ، وَكَفُّ الْجَوَارِحِ عَنِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى الْجَزَعِ، وَالرِّضَا: انْشِرَاحُ الصَّدْرِ وَسَعَتُهُ بِالْقَضَاءِ، وَتَرْكُ تَمَنِّي زَوَالِ ذَلِكَ الْمُؤْلِمِ، وَإِنْ وُجِدَ الْإِحْسَاسُ بِالْأَلَمِ، لَكِنَّ الرِّضَا يُخَفِّفُهُ لِمَا يُبَاشِرُ الْقَلْبَ مِنْ رُوحِ الْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَإِذَا قَوِيَ الرِّضَا، فَقَدْ يُزِيلُ الْإِحْسَاسَ بِالْأَلَمِ بِالْكُلِّيَّةِ][2]

هكذا أشار ابن رجب إلى حال المؤمن عند المصيبة، وأنها بين الرضا والصبر، لكن هناك منزلة أعلى ستتبين في المطلب التالي:

---

(١) الزمر: ١٠

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٤٨٨-٤٨٦) باختصار كبير.

المطلب الثالث:

مراتب الناس حال المصيبة

الناس عند المصيبة على مراتب أربع نعرضها من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: مرتبة الجزع والتسخط

قال تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾[1]

يقول ابن كثير:[{إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} أَيْ: إِذَا أَصَابَهُ الضُّرُّ فَزِعَ وَجَزِعَ وَانْخَلَعَ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ، وَأَيِسَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرٌ.] [2]فهذا صنف من الناس يواجه الأمراض والمصائب بالتسخط على قدر الله فيه، وقد ينقلب على وجهه فيكفر، أو يلطم ويشق الجيوب ويدعو بدعاء الجاهلية. فهذا حاله عند ورود المصيبة، لا يعرف الصبر إليه سبيلا.

الفرع الثاني: مرتبة الصبر

وهو كما قال ابن القيم: [والصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه.

(١) المعارج :١٩-٢٠.

(٢) «تفسير ابن كثير ت سلامة» (٨/ ٢٢٦):

فمدار الصـــبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واســـتحالت البلية عطية، وصـــار المكروه محبوباً..] (١)

والشـكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصـبر، فقد شـكا نبي الله يعقوب وكذلك نبيه أيوب وقد مدح الله تعالى صـــبرهما. (٢) **والمؤمن في حال المرض قد يراه ثقيلا، ويكرهه، لكنه يتحمله ويصـــبر، ويحميه إيمانه من التســـخط والتشكي والجزع. والصبر الجميل -كا يقول ابن القيم:[الصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه ولا تنافيه الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى]** (٣)

أما الصـبر بمجرده- كما يقول د.خالد السـبت[فقد يكون معه شـكوى للمخلوق، وهذا نوعان: الأول: ما يقصد به الشكاية، وهو نوعان أيضا:

١- نوع تكون فيه الشـــكاية إلى من يرجو عنده علاجا، كالمريض يخبر الطبيب بآلامه.

٢-نوع تكون فيه الشكاية إلى من لا رجاء في الشكوى إليه.

---

(١) الوابل الصـــيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـــ)، (ص٥): تحقيق: سيد إبراهيم، ط: دار الحديث، القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.

(٢) انظر :سورة يوسف :١٨، ٨٦، وسورة: الأنبياء :٨٣.

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (ص٥١) لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـــ)، الناشـــر: دار ابن كثير، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الثاني: ما يقصد به الإخبار،كمن يقول أصابني كذا، فذهبت إلى المستشفى...إلخ فهذا ليس من الشكوى ولا يكون نقصا في مرتبة العبد...والصبر الجميل ألا يتكلم بعلته، وإذا سئل عن حاله قال بخير والحمد لله.] [(١)] إذن ما يقع من المريض من قص مرضه للناس على سبيل الإخبار لا الشكاية فهذا لا يناقض الصبر، ومن ذلك قوله ﷺ: في مرض موته : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»[(٢)]

فهذا ونحوه على سبيل الإخبار لا التضجر الذي يناقض الصبر. إلا أنه ينبغي التنبيه على مسألة مهمة في هذه النقطة، وهي أن الإخبار بالمرض المعدي قد يكون واجبا لأهل الاختصاص إذا طلب أهل الذكر ذلك، كما في حالة فيروس كورونا مثلا، لأن في الكتمان نقلا للعدوى ، ونشرا للوباء في المجتمع ، وهذا محرم شرعا، ولا تمنع الشريعة ولي الأمر من وضع عقوبة على من يكتم مرضه إذا ترتب عليه نقل للعدوى. عملا بالقاعدة الفقهية المشهورة المأخوذة من الحديث: **[لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ]** [(٣)]

---

(١) أعمال القلوب، د.خالد السبت (٢/٢١٦) باختصار وتصرف، ط،أولى،١٤٣٩، دار ابن الجوزي. السعودية.

(٢) «صحيح البخاري» ك: المغازي، ب: مرض النبي (ﷺ) ووفاته، (٦/ ١٣):

(٣) هَذِه الْقَاعِدَة لفظ حَدِيث حسن، رَوَاهُ ابْن مَاجَه (٣/ ٤٣٠): وَغَيره عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ وَابْن عَبَّاس وَعبادَة بن الصَّامِت رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُم مُسْندًا، انظر"«شرح القواعد الفقهية» (ص١٦٥) ، أحمد محمد الزرقا :

الفرع الثالث: مرتبة الرضا

وقد فصل فيها ابن رجب وتبين أن هذا المقام أعلى من الصبر، وهو مستحب وليس بواجب، والمؤمن في هذه المنزلة يستوي عنده النعمة والمصيبة لتمام رضاه بربه سبحانه وتعالى.

الفرع الرابع: مرتبة الشكر

وهو أعلى المراتب، وذلك بأن يشكر المصاب ربه على ما أصابه من البلاء، ويرى البلاء فوزا ورحمة تستحق الفرح والشكر، و لعل منشأ هذا الشعور هو ملاحظة الأجر، وتكفير الذنوب وحسن الجزاء المعد لأهل البلاء ،فيطمئن قلبه إلى ذلك. ولعل من النماذج التي تؤكد لنا هذا المعنى ما يلي:

ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه عن خاله –حرام بن ملحان – لما طعن يوم بئر معونة، قال[اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ،][1]

وفي الإحياء للغزالي: وعن شيخ من قريش أن علياً رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة[2] . ومن عجائب قادة المسلمين في طاعون عمواس أنهم كانوا يدعون الله تعالى بأن يقدر لهم نصيبا من هذا المرض الخطير، لتيقنهم أنه رحمة من الله للمؤمنين، وسبيل لختم الحياة بشرف الشهادة في سبيله بالصبر والاحتساب، أخرج أحمد في مسنده:[.. لما اشتعل الوجعُ قام أبو عبيدةَ بن الجراح في الناس خطيبًا، فقال: أيها

(١)«صحيح البخاري» ك: الجهاد، ب: من يُنكب في سبيل الله،(٤/ ١٨).

(٢)«إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٧٩):

الناس، إن هذا الوجع رحمةُ ربكم، ودعوة نبيكم، ليموت الصـالحين قبلَكم، وإن أبا عبيدة يسـأل الله أن يَقسـم له منه حظه، قال: فطعِنَ، فمات رحمه الله، واسـتُخلف علىِ الناس معاذُ بن جبل، فقام خطيبًا بعده، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمةُ ربكم، ودعوة نبيكم، وموتُ الصـالحين قبلَكم، وإن معاذاً يسـأل الله أن يقسـمِ لآل معاذ منه حظه، قال: فطُعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ، فمات، ثم قام فدعا ربه لنفسـه، فطُعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهرَ كفّه، ثم يقول: ما أُحبُّ أن لى بما فيك شيئاً من الدنيا،](١)

-وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ كَانَ يَدْعُو لِلنَّاسِ لِمَعْرِفَتِهِمْ لَهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ لِبَصَرِكَ، وَكَانَ قَدْ أُضِرَّ، فَقَالَ: قَضَاءُ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصَرِي.] (٢)

- روى الذهبي في السـير:عَنِ الشَّـعْبِيِّ، قَالَ شُـرَيْحٌ (٣): **إِنِّي لأُصَـابُ بِالمُصِـيْبَةِ، فَأَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، أَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا،**

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٣٢٨): مصدر سابق.

(٢) جامع العلوم والحكم في شـرح خمسـين حديثا من جوامع الكلم،(٢/ ٣٥٤)، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط،- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٣) هُوَ الفَقِيْهُ، أَبُو أُمَيَّةَ، شُـرَيْحُ بنُ الحَارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ الجَهْمِ الكِنْدِيُّ، قَاضِـي الكُوْفَةِ. وَلَّاهُ عمر قَضَاءَ الكُوْفَةِ، فَقِيْلَ: أَقَامَ عَلَى قَضَائِهَا سِتِّيْنَ سَنَةً. تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ انظر: «سير أعلام النبلاء ط الرسالة» (٤/ ١٠٠وما بعدها):

وَأَحْمَدُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي.] [١]

والنماذج الشاكرة على البلاء كثيرة في تاريخ أمتنا المسلمة، التي تميزت بالأدب مع الله تعالى، فواجهت الأحداث الكونية، والمفاجآت المؤلمة، ونكبات الأيام ، وأسقام الأنفس والأبدان، والطواعين والأوبئة، بالصبر والرضا والمحبة والشكر للعليم الحكيم، الرحمن الرحيم.

المطلب الرابع: شروط الصبر

يشترك الناس في الصبر، المؤمن والكافر، الطائع والعاص، والذي يميز الصبر الشرعي من غيره هو ما تحققت فيه الشروط التالية:[٢]

الشرط الأول: الإخلاص لله تعالى

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبتِغَآءَ وَجهِ رَبِّهِم ﴾ [٣] **وقال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصبِر ﴾** [٤]

وهذا الإخلاص يمحق شوائب الرياء.

---

(١)«سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٠٥) م،س.

(٢) انظر :أعمال القلوب د.خالد السبت (٢/٢٤٩) مرجع سابق، بتصرف يسير.

(٣) الرعد:٢٢

(٤) المدثر: ٧

الشرط الثاني:أن يكون في أوانه

فالصبر الذي يؤجر عليه صاحبه ما كان في الدنيا، وعند الصدمة الأولى، أما الصبر في الآخرة كالذي حكاه الله تعالى عن أهل النار فلا أجر عليه ولا فائدة منه ،

قال تعالى:﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (١)سجى

أما الصبر عند الصدمة الأولى، فدليله قوله ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»] (٢)

الشرط الثالث: عدم شكوى اللّه إلى عباده

من تخلق بالصبر، محتسبا صبره عند الله لن يأتي بما يهدم صبره، وشكوى الله تعالى إلى خلقه تخرج المصاب من من طائفة الصابرين إلى طائفة أهل الجزع والسخط. أخرج الحاكم بسنده «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ، وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يُسْتَأْنَفُ الْعَمَلَ] (٣) فالشكاية من الألم مذمومة شرعا، لأنها شكاية من الله تعالى.

---

(١) الطور: ١٦

(٢) «صحيح البخاري» ك: الجنائز، ب: زيارة القبور،(٢/ ٧٩).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم» (١/ ٥٠٠): وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». و"أَطْلَقْتُهُ مِن إسارِي"، أي: فَكَكْتُهُ من المَرَضِ إنْ

فاللهم إنا نعوذ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ،

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لم يحْضُرْ أجَلُهُ؛ لأنَّ المريضَ أَسيرُ اللهِ تعالى، فهو الذي مَلَك نَفْعَه وضُرَّهُ، "ثم أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خيرًا من لَحْمِهِ" أي الذي أَذابَهُ المَرَضُ وأَذْهَبَهُ السَّقَمُ، "وَدَمًا خيرًا مِن دَمِهِ" الذي أنْزَفَتْهُ الحُمَّى وأرَهَقَهُ المَرَضُ، والخَيْرِيَّةُ باعْتِبارِ أنَّ اللَّحْمَ والدَّمَ الجديديْنِ أحَبُّ إلى اللهِ، فإنَّه لَحْمٌ ودَمٌ قد غَسَلَا صاحِبَهُما عن دَرَنِ الذُّنوبِ، وأنَّهما لم يُلابِسَا مَعْصِيةً، أو لأنَّه لَحْمٌ صَحيحٌ، "ثم يَسْتَأْنِفُ العَمَلَ"، أي: فالمَرَضُ يُكفِّرُ عَمَلَهُ السَّيِّئَ، ويَخْرُجُ منه كيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ثم يَسْتَأْنِفُ مِنَ الأعْمالِ ما يَكْتَسِبُ بها من الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ غيرَ التي قد غُفِرَتْ له بِمَرَضِهِ. انظر:الموسوعة الحديثية/شروح الحديث https://dorar.net/hadith/sharh/133089)

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية في بيان منهاج الإســـلام الإيماني في التعامل مع الوباء، أسجل الآن أهم النتائج ثم التوصيات على النحو التالي:

١- الوباء هو المرض العام المعد الذي ينتشر بسرعة في مجموعة كبيرة من العباد والبلاد، كالكوليرا ونحوها.

٢- التعريف الدقيق للطاعون هو التعريف الاصـــطلاحي، والذي يؤيده الطب، وهو داء ورمي وبائي مخصوص وله أعراض مخصوصة.

٣- يجوز أن يطلق على الطاعون وباء باعتباره أحد أنواع الوباء، و ليس كل وباء طاعونا، إلا من باب المجاز أو القياس لشـــبههما في ســـرعة الانتشار والهلاك.

٤- وباء كورونا(كوفيد-١٩) ليس هو الطاعون المنصوص عليه في السنة وصفا أو مثوبة.

٥- إذا لم يكن (الوباء) طاعونا من الناحية الحديثية، إلا أنه يأخذ أحكام الطاعون في التعامل معه من حيث الحجر، وعدم القدوم عليه ونحوه بجامع العلة.

٦- الأوبئة تعتبر لونا من ألوان البلاء الذي يقع على خلق الله جميعا مؤمنهم وكافرهم، والمسلمون ليسوا استثناء من بقية العالم في الإصابة بالأوبئة، بمقتضى سنن الله في الابتلاء والامتحان.

٧- مضـــت الســـنة الإلهية في الأمم الســـابقة المكذبة والمغرورة بالدنيا ومتعها،أو بصـــحتهم وثروتهم، بالحرمان منها ليذوقوا مر العيش، وآلام الأمراض، عسى أن ينكسر غرورهم، فيتجهون إلى الله ضارعين تائبين،

فينجون من العذاب الأكبر في نار جهنم يوم القيامة، ومن ثم تكون المصيبة في حق من اعتبر فرجع نعمة ومنحة، لكن من الناس من يصل به الكفر والفسق إلى درجة لا يزيلها بأس، ولا يزلزلها بؤس، ولا تنفع معهم المواعظ والعبر.

٨- يعتقد المسلم أن هناك أساليب إيمانية يجب أن تأخذ العناية البالغة إذا ظهرت الكوارث والأوبئة، وأهمها التوبة والتضرع والدعاء والصبر.

٩- المصائب والبلايا والضيق تكشف للعباد قدرة الله وسلطانه، لعلهم يرجعون إليه بالتضرع والفزع والدعاء والتوبة.

١٠- يجوز أن تكون النعم أيضا من أسباب الرجوع إلى الله والتوبة، على وجه من وجوه التفسير

١١- مما يجب التوبة إلى الله منه لرفع البلاء التفريط المدني والعسكري في خدمة الإسلام وتقوية المجتمع، فهو عصيان يضعف الأمة ويستوجب العقوبة العاجلة.

١٢- قسوة القلوب، وتزيين السوء، يمحيان الآثار الحسنة التي تتركها البأساء والضراء من الاتعاظ والضراعة في القلب، ومن ثم ينتج من النسيان لآثار البأساء والضراء، عودة الغرور والاستكبار.

١٣- الدعاء والرقية الشرعية من الأدوية الإلهية والأسباب التي وضعها الله لحفظ الصحة وإزالة المرض.

١٤- الدعاء من أقوى الأسباب في دفع الوباء والكوارث، والمصائب، لما فيه من تضرع وانكسار وتذلل بين يدي الله تعالى. ولكنه قد يتخلف أثره عنه لأسباب، منها: ضعف الدعاء ،بأن يكون مما لا يحبه الله تعالى، وضعف

القلب وقت الدعاء وعدم إقباله على الله بكليته، أو حصـــول مانع من موانع استجابة الدعاء،كالظلم وأكل الحرام، واستيلاء الغفلة والشهوة على القلب.

١٥-إذا كان من الصبر الجميل عدم إخبار الناس بالمرض، إلا أنه في حالة الوباء والأمراض المعدية، لايجوز إخفاء المرض،بل يجب على المصاب إخبار المختصين منعا من إلحاق الضرر بذويه والمجتمع، ويجوز لولاة الأمر وضع عقوبات إذا اقتضى الأمر ذلك، إذ لا ضرر ولا ضرار.

١٦- هذه الأساليب الإيمانية، لايمكن أن تغني عن الأخذ بالأسباب المادية والطبية التي اهتدت إليها الإنسانية، فالمسلم يأخذ بكل ما يأخذ به غيره ويزداد عليه بالتعاليم الروحية ، وبهذا يرتفع المســـلم في مواجهة الوباء من المستوى العام إلى مستوى الرائد.

١٧- هذه الأســـاليب الروحية كما بينت الدراســـة إيجابية وبناءة في مواجهة الشـــدائد والمحن والنوازل.وتملأ القلب بالإنابة والصـــبر والرضـــا والشكر،وتطهر النفس من الريب والسخط والهم.

١٨- يعتقد المؤمن أن الوباء يجمع بين صـــفتي الرحمة والعذاب، فهو رحمة للمؤمن، وعذاب معجل للكافر والعاصـي إن لم يتب، دون تعيين لفرد أو جماعة أو دولة، فمرد علم ذلك إلى الله تعالى.

١٩- العلاج فريضـــة على الفرد والمجتمع والدولة، وعلى الحكومات أن تبذل جهدها في علاج الأمراض عموما والأوبئة خصوصا. لأن حفظ النفس من الضرورات ومقاصد الدين.

التوصيات:

من أهم ما توصي به الدراسة ما يلي:

١- ضرورة القيام بالمزيد من الدراسات حول القيم الروحية والمعاني الإيمانية ذات التأثير الكبير في مواجهة النوائب الجسيمة.

٢- على الجامعات وهيئات البحث العلمي في العالم الإسلامي أن تولي الطب النبوي حقه من العناية والدراسة، لاستخراج أدوية جديدة لأمراض العصر، وإظهار وجه جديد من وجوه عظمة الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم في المجال الطبي.

٣- الرد على من أنبتت علاقتهم بثقافة أمتهم الإسلامية، وتخفوا وراء شعارات عقلانية أو ليبرالية، وأدمنوا السير في ركاب الماديين الساخرين من خصائص أمتنا الروحية والغيبية.

٤- تخفيف ثقل البلاء عن المصابين وذويهم بما أعده الله من الثواب لأهل الرضا والصبر والاحتساب، فمن شاهد العوض تحمل المشاق.

٥- الإنفاق في الأزمات وفي وقت الشدة والضر، فمن سمات أهل الاحسان الانفاق في السراء والضراء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أهم المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢- أعمال القلوب، د.خالد السبت ،ط،أولى،١٤٣٩، دار ابن الجوزي.السعودية.

٣- إكمال المعلم بفوائد مسلم». لِلقَاضِى عياض، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،الشيخ: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ): دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٦- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٧- بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر،تحقيق:أحمد عصام، دار العاصمة، الرياض.بدون.

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٩- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٠- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

١١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٠ م.

١٢- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة:الثانية ١٤٢٠هـ.

١٣- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٤- تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم،: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

١٥- تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الشيخ: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

١٧- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)،المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

١٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

١٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، دار التربية والتراث - مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر.

٢٠- جامع العلوم والحكم في شـــرح خمســـين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـــ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢١- جامع المسائل - المجموعة الثامنة، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المحقق: محمد عزير شمس، الناشـــر: دار عالم الفوائد – مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـــــــ. والمجموعة الأولى جامع المسائل - المجموعة الأولى، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٢٢- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحســن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـــ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٢٣- الجامع المسـند الصـحيح المختصـر من أمور رسـول الله (ﷺ): وسـننه وأيامه = صـحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسـماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصـــر الناصـــر، الناشر: دار طوق النجاة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤- الجواب الكافي لمن ســـأل عن الدواء الشـــافي = الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ســـعد شـــمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة – المغرب، ط، الأولى١٩٩٧م.

٢٥- الروح لابن القيم ، تحقيق د.بســـام العموش، منشـــورات دار ابن تيمية، بالسعودية، ط، أولى ١٩٨٦م.

٢٦- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، السابعة والعشرون ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

٢٧- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي.

٢٨- سنن ابن ماجه، - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)،المحقق: شعيب الأرنؤوط – وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٩- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٣٠- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ .

٣١- سير أعلام النبلاء ،المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة،الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٣٢- شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٣- شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، الرياض.

٣٤- الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ.

٣٥- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٣٦- الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتصنيف، نديم ،وأسامة مرشعلي، ط، دار الحضارة بيروت.

٣٧- الصبر في القرآن الكريم د. يوسف عبدالله ، مكتبة وهبة،ط،ثالثة،١٩٨٩م.

٣٨- الطب النبوي لابن القيم» (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)،المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت.

٣٩- الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع ،المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ

٤٠- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)،: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٢- العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط،أولى ٢٠٠٣م.

٤٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

٤٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. للشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب(المتوفى: ١٢٨٥هـ)،المحقق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

٤٥- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٤٦- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: محمد بن علي الحارثي، أبو طالب المكي (ت: ٣٨٦هـ)،

المحقق: د.عاصم الكيالي، ط، دار الكتب العلمية – بيروت، ط، الثانية، ١٤٢٦ هـ

٤٧- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

٤٨- القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.

٤٩- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق، عبد العزيز الشهوان: مكتبة الرشد – السعودية – الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٥٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٥١- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٥٢- مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية ، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)،

٥٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤ م.

٥٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)،تحقيق، محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط، الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٥٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٥٦- مسند البزار = البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٥٧- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، للشيخ محمد الغزالي، كتاب الأمة العدد (١) ١٤٠٢هـ

٥٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)،تحقيق،محمد عبد الله النمر ،وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ

٥٩- معجم اللغة العربية المعاصـــرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

٦٠- معجم المصـــطلحات العلمية والفنية ،يوســـف خياط،دار لســـان العرب،بيروت،لبنان.

٦١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـــ)،تحقيق، عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٢- مفاتيح الغيب = التفســـير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط، الثالثة -١٤٢٠

٦٣- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيســـابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـــــ)،تحقيق: مصـطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٦٤-المصـباح المنير في غريب الشـرح الكبير،: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـــــ)، المكتبة العلمية – بيروت.

٦٥-المعجم الأوســـط، ســـليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـــ)، ت: طارق بن عوض الله الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، ١٤٣١هـ.

٦٦-المعجم الوسـيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصـطفى، وآخرون، الناشر: دار الدعوة.

٦٧-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسـم الحسـين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)،المحقق: صفوان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٦٨- مناهج البحث العلمي، د.عبد الرحمن بدوي،ط، ثالثة،١٩٧٧م.

٦٠-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شـرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٧٠-الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم،ط: دار الحديث، القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث
المقدمة
المطلب التمهيدي
المبحث الأول: الرجوع إلى الله عند وقوع الوباء طلبا لدفعه
المطلب الأول :الآيات الدالة على الرجوع إلى الله تعالى عند الشدائد
المطلب الثاني حقيقة الرجوع إلى الله تعالى وشروطه
المبحث الثاني: التضرع إلى الله تعالى
المطلب الأول: مفهوم التضرع
المطلب الثاني: مواطن التضرع في القرآن الكريم عند البلاء
المطلب الثالث: موانع التضرع
المطلب الرابع: التضرع والانكسار عبادة الحاكم والمحكوم
المبحث الثالث : الدعاء بإخلاص
المطلب الأول: مفهوم الدعاء
المطلب الثاني: أنواع الدعاء

المطلب الثالث: شروط الدعاء
المطلب الرابع: الدعاء برفع الوباء لاينافي الإيمان بالقدر
المطلب الخامس: التداوي بالدعاء عند خاتم الأنبياء
المبحث الرابع: الصبر والاحتساب
المطلب الأول: مفهوم الصبر
المطلب الثاني أنواع الصبر
المطلب الثالث: مراتب الناس حال المصيبة
المطلب الرابع: شروط الصبر
الخاتمة
أهم المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات

تم البحث والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات.